موقف الصوفية من مخالفيهم دراسة عقدية نقدية

د. إسماعيل عبدالمحسن قطب عبدالرحمن

أستاذ مشارك بقسم العقيدة

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

ملخص البحث:

حاولت في هذا البحث تسليط الضوء على موقف الصوفية ممن خالفهم من الفرق والطوائف الإسلامية بصفة عامة وأهل السنة وعلمائها بصفة خاصة، وكذا موقفهم ممن هو من الصوفية وخالفهم في الانتساب إلى الفرقة، فتناولت تعريفًا موجزا بالصوفية مرورا بابتداعهم بما سموه بعلم "الحقيقة والشريعة" والذي حدا بهم إلى أن يسلكوا طرق التفسير الإشاري والتأويل الفاسد المعتمد على صرف النصوص الشرعية عن مرادها وبموجبه اتخذوا موقفًا من مخالفيهم الذين رفضوا أصول معتقداتهم. وقد تنوع موقف الصوفية من مخالفيهم فكان موقفهم من عموم المسلمين الذين لا ينتمون إلى شيخ أو طريقة يقف عند حد تخويفهم من سوء الخاتمة أو الوقوع في الشقاوة والبعد عن السعادة. بينما كان موقف متقدمو الصوفية من الفرق الكلامية مختلفًا تماما مع متأخريهم ؛ إذ تبين أن المتقدمين من الصوفية قد انتقدوا معتقدات الفرق الكلامية كالخوارج والمعتزلة والشيعة والمرجئة والمجسمة، ورموهم بالبدعة والزندقة وبينوا مخالفة تلك المعتقدات لصحيح النصوص من الكتاب والسنة. وأما متأخري الصوفية فقد وقعوا في الإرجاء عندما قالوا بإسقاط التكاليف وكذلك شابهوا الخوارج لما قالوا بالبيعة الخاصة لشيخ الطريقة والولي وجعلوا له بيعة خاصة تختلف عن البيعة العامة التي هي للإمام ولولي الأمر، كما شابهوا المجسمة والمشبهة عندما قالوا بالقول بالحلول والاتحاد والفناء وغير ذلك مما وصفوا به الله رب العالمين من صفات يتنزه عنها سبحانه وحاشاه أن يوصف بها. كما تورط متأخري الصوفية وغلاتهم بمشابهه الشيعة عندما قالوا بالعصمة للشيخ والولي، وكذلك عندما قالوا بأن الولي أو الشيخ قد يتصور في صورة أشياء كالدواب والحيوانات وغير ذلك. وهذا هو عين القول بالتناسخ الذي عرف به الشيعة. وأما موقف الصوفية من مخالفيهم من أهل السنة والجماعة فكان متنوعا؛ فتارة يرمونهم بالكفر الصريح وتارة يكتفون بتبديعهم وتارة يسبونهم بأبشع أنواع السباب، ولم يقف الأمر عند ذلك بل وصفوا عقائد أهل السنة بأنها عقائد غنوصية وهندوسية. وقد تعدى تكفير الصوفية إلى أن كفر بعضهم بعضا ورموا بعضهم بالردة والدجل وفساد الدين. كما بينت براءة أهل السنة مما وقع فيه الصوفية من الغلو في التكفير والسب واللعن.

Abstract

In this research, I have tried to figure out the attitude of Sufis towards those who disagreed with them from the other Islamic sects and Islamic communities in general, and the Sunnis and their scholars in particular, as well as their attitude towards those who are Sufis and disagreed with them in affiliation with the group. The research tackles a brief definition of Sufism, passing through their fabrication of what they called the science of "truth and sharia", which has led them to adopt the methods of indicative explanation and corrupt interpretation based on distracting legitimate texts from their intended purpose, and according to which they had an attitude towards their opponents who rejected the origins of their beliefs. The belief of Sufis towards their opponents varied; so their stance towards all Muslims who do not belong to a sheikh or a method that stands at the point of intimidating them from a bad end or falling into misery and being far from happiness. As for their opponents who belonged to the Ahl al-Sunnah Wal Jama'ah, they were diverse. Sometimes they accused them of blatant blasphemy, and sometimes they are satisfied with claiming their fabrication, and sometimes they curse them with the most horrific types of insults. The expiation of Sufis went beyond that they disbelieved each other and called some of them apostasy, quackery, and corruption of religion. It also showed the innocence of the Sunnis from the exaggeration of penance, insult, and cursing that Sufis had committed.

Among the most important results were the following:

A - Saying that the texts are visible and hidden was the main reason for the deviation of Sufism from the true belief.

B - Sufis are distinguished when looking at their opponents and judging them between the general Muslims and the Muslims belonging to the creed of the predecessors.

C - Sufism’s exaggeration in atonement did not stop at the Sunnis but rather extended to those who are Sufi like them, but they disagree with their affiliation with the Tariqa or the Sheikh.

D - A simple comparison shows the reasonableness of the Sunnis compared to the extreme of Sufism in the atonement of others.

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد...، فإن النبي ﷺ قد أخبر عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، شأنهم في ذلك الافتراق شأن من سبقهم من الأمم من اليهود والنصارى، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقَت اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسَبعين فرقةً، وتفترقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة**»(١).

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**وتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاث وسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

(١) سنن أبي داود: (٥/٧)، برقم: (٤٥٩٦)، كتاب السنة، باب شرح السنة، وأخرجه ابن ماجه برقم: (٣٩٩١)، والترمذي برقم: (٢٨٣١) من طريقين عن محمَّد بن عمرو، به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو في: «مسند أحمد» برقم: (٨٣٩٦)، و«صحيح ابن حبان» برقم: (٦٤٧) و(٦٧٣١).

(٢) سنن الترمذي: (٢٦/٥)، برقم: (٢٦٤١)، أبواب الايمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وحسنه الألباني.

ومن هذه الفرق الثلاث والسبعين؛ فرقة الصوفية التي انتشرت في كثير من المجتمعات الاسلامية بحيث لم يسلم من وجودها وظهورها بأفكارها ومعتقداتها عصر من العصور منذ أن ظهرت.

وقد عرفت هذه الفرقة في مبتدأ أمرها بالزهد، وفرق بين التصوف والزهد؛ فليس كل زهد تصوفا، ولذلك انصب نكير أهل السنة على ما أحدثه الصوفية في أزمنة تالية، لما تنكبوا الزهد، وأتوا بتصورات فلسفية تخالف صحيح الدين، "ثم ترخص المنتسبون إليها في السماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام؛ لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"(٣).

وتدرج بهم الحال إلى أن عرف منهجهم، وأصبحوا حركة دينية منتشرة ومعروفة بأسماء وألقاب أخرى غير الصوفية؛ كتسميتهم بأصحاب الحقائق والفقراء، وأهل الكشف، كما عرفوا بمصطلحات خاصة بهم كالغناء، والوجد، والتواجد، والأحوال والمشاهدة...، إلخ.

هذه الألقاب وتلك المصطلحات، جعلت تلك الفرقة تعرف بعقائد وعبادات على طريقة لم يعرف لها دليل ولا سند من الكتاب والسنة؛ بل دفعت كل من ينظر فيها ويقف على مخالفتها للكتاب والسنة أن ينبري لبيان فساد تلك المعتقدات ونقدها؛ بل والتحذير منها ومن أهلها وفق أدلة الكتاب والسنة.

وقد جهد الصوفية في الرد على مخالفيهم بشتى الطرق، وامتد دفاعهم عن أنفسهم والرد على مخالفيهم إلى أن يتخذوا موقفا من هؤلاء المخالفين حتى ولو كانوا من الصوفية الذين يخالفونهم في الطريقة التي ينتسبون إليها، وفي هذا البحث أحاول جاهداً أن أتتبع موقف الصوفية من مخالفيهم مخالفة عامة من جهة، ومن مخالفيهم من أرباب الطرق من جهة أخرى.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: تكمن أهمية الموضوع في أنه يلفت النظر إلى حقيقة التصوف الذي يصور أنه ثورة روحية تمثل روح الإسلام وحقيقته ، وذلك بتسليط الضوء على علاقة المتصوفة بمخالفيهم ، وبيان مدى موضوعيتهم واعتدالهم وتوسطهم أو غلوهم وتطرفهم مع المخالف .

(٣) من كلام أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس: ص١٤٥.

أما أسباب اختياره فهي:

١. رواج الطرق الصوفية، وتأثر كثير من عموم المسلمين بها، وانطلاء حقيقتها على هؤلاء العوام.

٢. بيان ما تنطوي عليه الصوفية من مسالك لا تتفق مع الكتاب والسنة مما يتعلق بتبديع المخالف، بل وتكفيره بلا موجب.

٣. الوقوف على صور تعامل الصوفية عقديا مع مخالفيهم.

٤. الوقوف على موقف الصوفية من أهل السنة والجماعة بصفة خاصة.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تكلمت عن الصوفية والتصوف ومصادر تلقي العقيدة عندهم، وكثيرة أ يضا الدراسات التي عنيت بدراسة طريقة ما من طرق الصوفية كالنقشبندية، والشاذلية، والخلوتية، وغيرها، وأما دراسة موقف الصوفية من مخالفيهم، ونقد هذا الموقف وفق أدلة الكتاب والسنة فلم أقف -بحسب علمي- على بحث مستقل يتتبع بالدراسة هذه القضية، وما يترتب عليها في الفكر الصوفي.

منهج البحث:

سأسلك في دراسة هذا البحث المنهج الاستقرائي الناقص القائم على اختيار نماذج من مواقف الصوفية، وتسليط الضوء عليها كشواهد للتعبير عن الفكرة محل البحث .

إجراءات البحث:

١ ـ محاولة عرض صورة أو أكثر من مواقف الصوفية قديما وحديثا ؛ لتعبر عن حقيقة موقف الصوفية في المسألة المبحوثة.

٢ ـ عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية في المتن، والالتزام بالرسم العثماني.

٣ ـ تخريج الأحاديث والحكم عليه متى ما كانت في غير الصحيحين.

٤ ـ الترجمة للأعلام من غير المشاهير.

٥ ـ التعريف بالفرق والمذاهب .

خطة البحث:

جاءت خطة هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

التمهيد، وفيه: التعريف بالصوفية.

المبحث الأول: حدود المخالفة مع الصوفية.

المبحث الثاني: موقف الصوفية من عموم المسلمين الذين لا ينتمون لشيخ أو طريقة أو فرقة.

المبحث الثالث: موقف الصوفية من الفرق الكلامية .

المبحث الرابع: موقف الصوفية من بعضهم بعضا.

المبحث الخامس: موقف الصوفية من مخالفيهم من أهل السنة .

المبحث السادس: وسطية أهل السنة مع مخالفيهم وبراءتهم مما وقع فيه الصوفية من الغلو.

خاتمة البحث، وفيها: أهم النتائج، وفهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد: في التعريف بالصوفية.

أ- الصوفية لغة:

الصوفية جمع صوفي، وهو من يتبع طريقة التصوف. وتصوف على وزن تفعَّل، أي لبس الصوف، كتقمص أي لبس القميص(٤)، وقد اختلفوا في اشتقاق الكلمة اختلافا كبيرا:

فقال ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة»: "إن الباب كله يرجع إلى الصوف المعروف فـ (الصاد والواو والفاء) أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف، يقال: كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا يكون في كثير الصوف، ويقولون: خذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته"(٥).

وجاء في «مختار الصحاح»: "الصوف للشاة، والصوفة أخص منه"(٦).

وقال ابن خلدون: "إن قيل بالاشتقاق، فإنها مشتقة من الصوف؛ لأنهم في الغالب مختصون به"(٧).

وقد اختلف حول المعنى الذي ينسب إليه الصوفية:

فمما قيل: "... إنه من الصفاء"(٨). **وقيل**: "إنهم سَموا بذلك؛ لقرب أوصافهم من أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ"(٩).

وقيل: "إنه نسبة إلى رجل من الجاهلية يقال له: صوفة، واسمه: الغوث بن مر، كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام، فنسب الصوفية لاسمه؛ لمشابهتهم إيَّاه"(١٠).

---

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ص. و.ف) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار:(٢/ ١٣٣٦)مادة(ص. و. ف)

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٣/٣٢٢).

(٦) مختار الصحاح، الرازي: ص١٨٠، مادة (ص و ف).

(٧) المقدمة، لابن خلدون: ص٢٥٦ و٢٥٧.

(٨) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني: (١/١٧).

(٩) التعرف لمذهب أهل التَّصوف، الكلاباذي: ص٢١.

(١٠) تلبيس إبليس، لابن الجوزي: ص٢٠١.

وقال آخرون: "إنهم ينسبون إلى (السوفية)، أي: الحكماء، والقائلون بهذه النسبة تأثروا بالشبه الصوتي بين (صوفي) العربية، وكلمة (سوفيا) اليونانية"(١١).

وأشهر نسبة ينسب إليها الصوفية، هي أنهم تسمَّوا بذلك نسبة إلى لبس الصوف، وقد رجَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(١٢)، والسهروردي(١٣) من الصوفية(١٤)، وابن خلدون في مقدمته(١٥).

ومن يطالع الكتب التي تعرضت للصوفية سيجد بعضها يضعّف الأخذ ببعض الأقوال السابقة ويرى ضعفها إما من جهة اللغة، أو من جهة واقع الصوفية وحالتهم التي هم عليها، مما يجعل هذه الأقوال وهذه النسبة موضع جدل وخلاف بين العلماء، وإن كنت أميل إلى القول الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لتوافقه مع الأدلة اللغوية، ورجحانه على غيره من الآراء.

ب- الصوفية اصطلاحا:

كثرت التعريفات التي عرف بها التصوف كثرة تؤدي إلى ارتباك الفهم وتشوش الذهن، لكننا نستطيع الخروج من ذلك كله ونقول إن "التصوف ـ كما يراه الصوفية في عمومه ـ هو السير في طريق الزهد، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف، وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا

(١١) تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، للبيروني: ص ٢٤-٢٥.

(١٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٦/١١).

(١٣) هو شهاب الدين أبو حفص عمر السهردوي البغدادي، له تصانيف عديدة أشهرها كتاب عوارف المعارف، ولد في عام ٥٣٩هـ بسهرود وتوفي في ٦٣٢هـ. قدم من سهرورد إلى بغداد، وصحب أبا محمد عبدالقادر الجيلي، وكان شيخ وقته في التصوف ، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين. ينظر:سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٧٦ -٣٧٧)، وينظر كذلك طبقات الشافعية (٢/٨٣٦).

(١٤) عوارف المعارف، للسهروردي: ص٥٩.

(١٥) المقدمة، لابن خلدون: ص٤٦٧.

الطريق المتقدم، سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة"(١٦).

المبحث الأول: حدود المخالفة مع الصوفية

إن من ينظر في معتقدات الصوفية وتاريخهم، سيجد أن من الأسباب الرئيسة التي خالف فيها الصوفية أصول معتقد المسلمين هو: ابتداعهم لما سموه بعلم الحقيقة والشريعة (الظاهر والباطن)، وهو ذلك الاعتقاد الباطني القائم على قولهم: إن هناك فرقاً بين علم الحقيقة والشريعة.

وبدعة القول بالحقيقة والشريعة عند الصوفية من الأمور التي لا يخلو كتاب من كتب الصوفية منها.

ومرادهم بالشريعة: التلقي بواسطة الرسل، ويشار بها إلى الأمر والنهي، وأما الحقيقة فهي: التلقي بواسطة الكشف والإلهام، ويشار بالحقيقة إلى المكاشفات والمشاهدات، وعليه فالشريعة وجود وأفعال، والحقيقة شهود وأحوال؛ والشريعة لعبادة الله تعالى، والحقيقة لتشهده(١٧).

ويمثل الصوفية بمثال لبيان الفرق بين الحقيقة والشريعة، فيقولون: علم موسى عليه السلام: هو التشريع، وهو المنقول الذي هو بالواسطة، وعلم الخضر عليه السلام: هو اللدني الذي هو الإلهام بغير واسطة(١٨).

وقد بنى الصوفية بناء على ذلك أنه لا يجتمع للعبد الشريعة والحقيقة إلا من جمع له الله الطريقتين (العلم والتصوف) (١٩)، ووفق هذا التقسيم فرَّق علماء الصوفية بين علماء الحقيقة وعلماء الشريعة، وصاروا يزعمون ويجزمون بأنهم أهل الحقيقة، وقد خصُّوا بذلك، وراحوا يرفعون من قدر علومهم ويحطون من قدر علم الشريعة وعلمائها.

---

(١٦)التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، د إبراهيم هلال، نشر دار النهضة العربية، سنة ١٣٩٥هـ(ص ١).

(١٧) انظر: جامع الأصول في الأولياء، لأحمد النقشبندي الخالدي: ص٤٢.

(١٨) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، لابن أبي جمرة: (٣٥/١).

(١٩) المرجع السابق: (١٠٢/٢).

قال أبو حامد الغزَّالي: "اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون العلوم التعليمية – يعني علوم الكتاب والسنة – ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم؛ بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات، والإقبال على الله، ويقطع الإنسان همه من المال والولد ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يفرق همه بقراءة قرآن ولا بكَتْب حديث"(٢٠).

ثم راح الصوفية بناء على هذهَ البدعة الباطنية يتعاملونَ مع نَصوص ًالكتاب والسنة باتباع طريق التأويل الفاسد، والتفسير الإشاري القائم على المزاج القلبي، والمعتمد على صرف النصوص الشرعية عن مرادها الشرعي إلى مراد بعيد الاحتمال، اعتمادا على الخواطر والرؤى الخالية من الضوابط، حتى طوعوا الآيات القرآنية وفق خواطرهم اعتمادا على قولهم: إنَّ للقرآن ظاهرا وباطنا، الظاهر يختص به العوام وأهل الشريعة، والباطن للخواص؛ أهل الحقيقة من الصوفية وأتباعهم...، وأصبح من نتائج التأويل والتفسير الإشاري عندهم التحرر من قيود أحكام الشريعة(٢١).

وتكمن خطورة هذا الأمر عندهم في أنهم اخترعوا مصادر جديدة للتلقي غير الوحي، قادتهم إلى ضلالات وشذوذات واضحة، فمن مصادر التلقي عندهم "الكشف" مع الذوق والوجد، وهو: "الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودا وشهودا"(٢٢)، وهو أمر كفيل بقلب دين الإسلام رأساً على عقب.

ودخول الصوفية في هذا المنحنى وقولهم بهذا الأصل الباطني، جعلهم مرصدَا وهدفًا للعلماء المحققين المتمسكين بالكتاب والسنة؛ والمفسرين لهما وفق القواعد الشرعية العلمية التي أجمع العلماء عليها، ومنها: أنه ليس لإنسان أن يقول في القرآن برأيه، ولا يفسر القرآن إلا بما جاء به النبي ﷺ، أو عن أحد من صحابته ﷺ، أو عن أحد من التابعين، أو عن إمام من أئمة المسلمين، ولا يُماري ولا يُجادل(٢٣).

(٢٠) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزَّالي: (٢١/٣).

(٢١) انظر: جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، د. محمد أحمد الجوير: ص٢٢٠-٢٢٦.

(٢٢) معجم مصطلحات الصوفية: (٢٢٥).

(٢٣) انظر: الشريعة، للإمام الآجري: ص١٤٨.

وكما يقول موفق الدين ابن قدامة المقدسي عن تأويل آيات القرآن الكريم: "... لأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلاً في عقد الدين بحيث لا تكمل إلا به، أو ليس داخلاً، فمن ادعى أنه دخل في عقد الدين ولا يكُمل إلا به فيسأل: هل كان الله صادقاً في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣] قبل هذا التأويل؟ أو أنت صادق في أنه كان ناقصا حتى أكملته؟ لأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يبينه النبي ﷺ ولا أصحابه، وجب أن يكونوا قد رحلوا من الدنيا ودينهم ناقص، ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم، ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يبلغه النبي ﷺ أمته، فقد خانهم وكتم عنهم دينهم – وحاشاه – ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] لمن شهد له بالبلاغ غير صادقين، واعتقاد هذا كفر بالله وبرسوله ﷺ"(٢٤).

ولما كان علماء السلف من أهل السنة والجماعة هم أكثر الناس بياناً لفساد التأويل وبطلانه، وبيان فساد المعتقد الباطني للصوفية على النحو الذي مر- لما كانوا كذلك- أصبحوا في نظر الصوفية أكثر الطوائف عداوة للتصوف وأهله، مما ترتب عليه أن اتخذ الصوفية منهم موقفاً سطروه في كتبهم، ورددوه في محافلهم، وورثوه لأتباعهم عبر العصور والأزمان.

(٢٤) ذم التأويل، لابن قدامة: ص٤١.

المبحث الثاني: موقف الصوفية من عموم المسلمين الذين لا ينتمون لشيخ أو طريقة أو فرقة .

فأما حكمهم على من ليس بصوفي وغير منتمٍ إلى طريقة أو شيخ، فيتخذون منه موقفًا متدرجا، يختلف باختلاف الشخص الذي يَحكُم عليه من علماء الصوفية.

فتارة يخوفونه من سوء الخاتمة، كما يقول أبو حامد الغزَّالي(ت ٥٠٥هـ): "من لم يكن له نصيب من علوم المكاشفة، فإنه يُخشى عليه من سوء الخاتمة"(٢٥).

ويقول البغدادي(٢٦) صاحب الحديقة الندية: "بأن الإنكار على السادة الصوفية... سم قاتل قد ورد به الوعيد الشديد، وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى، وحشوه بالأمراض، ويُخشى على فاعله من سوء الخاتمة"(٢٧).

وتارة يخوفونهم بالوقوع في الشقاوة والبعد عن السعادة، يقول السرهندي(٢٨): "وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة، الذين يرون عيوب هذه الطائفة"(٢٩).

وتارة يصرحون بتكفيرهم، يقول صاحب الحديقة الندية: "وإياك أن تقول: طرق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة؛ فإنه كفر"(٣٠)، وقال السرهندي صاحب البهجة السنية: "من لا شيخ له فشيخه الشيطان، ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له

---

(٢٥) إحياء علوم الدين، الغزَّالي: (١٩/١).

(٢٦) هو محمد بن سليمان البغدادي: متصوف نقشبندي حنفي، ألف (الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية) و (البهجة الخالدية)، توفي سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م. انظر: هدية العارفين، لإسماعيل البغدادي (٢/ ٣٦٠)الأعلام، للزركلي (٦/ ١٥٢).

(٢٧) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية، محمد بن سليمان البغدادي النقشبندي: ص٩٦.

(٢٨) هو أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين، العمري الفاروقي نسبا، السرهْندي مولدا ووطنا، الحنفي مذهبا(ت ١٠٣٤ هـ) انظر: معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطاتَ والمطبوعات)، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط (١/ ٥٣٦) ترجمة رقم:١٣٢٩.

(٢٩) الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة، لأحمد بن عبد الأحد السرهندي: (٤٤١/١)، والمكتوبات الربانية، لأحمد بن عبدالأحد السرهندي: (١٩١/٢).

(٣٠) الحديقة الندية، محمد بن سليمان البغدادي النقشبندي: ص٣١.

شيخا متخلقًا بأخلاق الرحمن"(٣١)، وقال التيجاني(٣٢): "من دخل زمرتنا ودخل غيرها، تحل به المصائب دنيا وأُخرى، ولا يعود إليها أبدًا إلا بتوبة نصوح"(٣٣).

وسبب ذلك المسلك: صرف الأتباع عن التعرض للانحراف الواضح الذي عليه الصوفية من نقد أو استنكار.

ويكفي في بيان غلط هذا، قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[سبأ: ٢٤]، أي: "ما نحن وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد، والآخر ضال"(٣٤)، وهو رب العالمين عز وجل، وإنما قال ذلك: "على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنَّه صادق، وأن صاحبه كاذب"(٣٥)، فكيف بمن دونه يقطع السبيل على غيره حتى في مجرد التفكير في صدقه أو عدمه؟!

المبحث الثالث: موقف الصوفية من الفرق الكلامية.

اتخذ الصوفية مواقف متنوعة من الفرق المختلفة معهم في كل أو بعض الآراء الاعتقادية : كالخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والشيعة، بل وحتى ممن خالفهم من الصوفية أنفسهم، وتلك المواقف وافق فيها الصوفية أصحابها أحيانا، ومن ثم تابعوهم فيها ، وخالفوهم ونقدوهم أحيانا أخرى نقدا وصل إلى حد الرمي بالبدعة والزندقة والكفر ــ كما سيأتي بيانه بحول الله وقوته ــ:

١ ـ موقف الصوفية من الخوارج:

(٣١) البهجة السنية في آداب الطريقة العلية، لمحمد عبد الله الخاني: ص٨٠.

(٣٢) هو محمد بن عبد الله بن حسنين الشافعي الطصفاوي التجاني، له كتاب: فاتحة الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، مطبعة البابي الحلبي، ٢٠١٢م. ولم أجد من ترجم له .

(٣٣) الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد، التيجاني: ص٤٧.

(٣٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي: (٢٢/ ١٠٣).

(٣٥) السابق، الموضع نفسه.

يعد الخروج على ولاة الأمر من أبرز معتقدات الخوارج التي خالفوا فيها منهج أهل السنة والجماعة، وقد انتقد متقدمو الصوفية ذلك المعتقد على الخوارج . يقول الحارث المحاسبي(٣٦) : "وقد اتفقت الفرق فكان قولها واحدا : أن ما عمله السلطان، مثل: المساجد الجامعة، والحصر فيها، فالصلاة عليها عندهم جائزة، وكذلك حفر الأنهار، والبرك، والمصانع، والآبار التي لا يمنع منها العام والخاص، والمشي على الجسور، والعبور على القناطر، وفي الظلال، وفي الأسواق، وفي الطرق التي يصلحها الأمراء، وهذا كله ما وجدنا عالما، ولا ناسكا، ولا متعبدا، ولا متصوفا يجتنب شيئا مما قلنا، إلا طائفة غالطة قالت: إذا لم يعدل الإمام في الرعية، ويقسم الفيء بالسوية، ويعطي العطاء، ويسوي بين الناس في الأرزاق، ويكفي العامة، ويفدي الأسير، ويجاهد العدو، ويقيم لهم الحج، ولا يستأثر دونهم بالفيء، كان عاصيا، وكل من رضي بإمامته كان عاصيا، فهذه فرقة خوارج مرقوا من الدين وخرجوا من حد الإسلام"(٣٧).

ويرى أبو حيان التوحيدي(٣٨)ـــوهو من زنادقة الصوفية ـــ أن سبب هذا الخروج على ولاة الأمر ليس دينيا كما يدعي الخوارج ، بل هو دنيوي، فقد " أتى رجل من الخوارج الحسن البصري فقال له، ما تقول في الخوارج قال: هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه، ويخرج من أهله وولده، قال الحسن البصري حدثني عن السلطان أيمنعك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة، قال: لا، قال: فآالله إنما

(٣٦) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: (٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م)، من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه (آداب النفوس و (الرعاية لحقوق الله عزوجل – (انظر: الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٢/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢/ ١١٠، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ٣/ ١٧٤.

(٣٧) المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، ص ١٠٥، ١٠٦

(٣٨) هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان (٤٠٠ هـ -نحو ١٠١٠ م) فيلسوف، متصوف معتزلي، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء. وقال ابن الجوزي: كان زنديقا. ولد في شيراز (أو نيسابور) وأقام مدة ببغداد. وانتقل إلى الري، (الأعلام، الزركلي، ٤/٣٢٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/ ١١٩).

منعك الدنيا فقاتلته عليها قال إسحاق: فحدثت بهذا الحديث الغاضري[٣٩] وكان ظريفا بالمدينة فقال: صدق الحسن، ولو أن أحدهم صام حتى ينعقد وسجد حتى يحز جبينه واتخذ عسقلان[٤٠] مراغة ما منعه السلطان، فإذا جاء يطلب دينارا أو درهما لقي بالسيوف الحداد والأدرع الشداد"[٤١].

كما خالف متقدمو الصوفية الخوارج في مسألة البيعة لولي الأمر، حيث يرون وجوب البيعة لولي الأمر، والبيعة عندهم هي ما عرفت ببيعة الخلافة الإسلامية أو بيعة الحكام، وفيها يبايع المسلمون خليفتهم أو حكامهم على السمع والطاعة، في مقابل أنْ يحكمهم بما فيه مصلحة الأمة، وعلى أساس الكتاب والسنة.

يقول الدهلوي[٤٢] في بيان أقسام البيعة عند الصوفية: "البيعة على أقسام: منها بيعة الخلافة، ومنها بيعة الإسلام، ومنها بيعة التمسك بحبل التقوى، ومنها بيعة الهجرة والجهاد، ومنها بيعة التوثق في الجهاد"[٤٣].

كما وافق الصوفية — في المجمل- أهل السنة والجماعة في وجوب طاعة ولي الأمر أو خليفة المسلمين الذي انعقد عليه الإجماع وتوفرت فيه شروط الإمامة، وعدم الخروج عليه، يقول سهل التستري[٤٤] _وهو أحد أئمة الصوفية المتقدمين _ في بيان أنّ الفرقة الناجية هي

---

(٣٩) لم يرد ذكره في كتب التراجم، وإنما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، قال: قدم سفيان الثوري المدينة فسمع الغاضري يتكلم ببعض ما يضحك الناس فقال يا شيخ أما علمت أن لله يوما يحشر فيه المبطلون...(تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٨/ ٨٦).

(٤٠) هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام (معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥، ٤/ ١٢٢).

(٤١)البصائر والذخائر(١/ ١٥٦)

(٤٢) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقب شاه ولي الله، ولد سنة ١١١٠هـ، فقيه حنفي من المحدثين، من أهل دهلي بالهندي، من مصنفاته: الفوز الكبير في أصول التفسير، والإرشاد إلى مهمات الأسناد، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، توفي سنة ١١٧٦هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، ١٤٩/١.

(٤٣) مخطوطة رسالة في البيعة لولي الله الدهلوي، ص:٤.

(٤٤) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع؛ وكان صاحب كرامات، ولقي الشيخ ذا النون المصري ،كانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم،

ما كانت تحت إمام: "هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة: اثنتان وسبعون هالكة، كلّهم يبغض السلطان، والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان"(٤٥).

ويقرر عبد القادر الجيلاني(46) هذه المسألة بذكر إجماع أهل السنة والجماعة: "وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وإتباعهم، والصلاة خلف كل بر منهم وفاجر، والعادل منهم والجائر، ومن ولوه ونصبوه واستنابوه"(47). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩

وقال محمد الخادمي(٤٨) في شرحه لقوله ﷺ : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا،..."(٤٩) فقال: "والسمع والطاعة" لولاة الأمور كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ﴾ [الأنفال: ٢١] ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا، يقال: فلان سمع من فلان أي: امتثل، "وإنْ كان عبدا حبشيا" يعني ولو كان أميركم حقيرا ذليلا

وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين، رضي الله عنه، بالبصرة. وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن مولده في سنة مائتين، وقيل إحدى ومائتين بتستر.(ينظر : طبقات الصوفية ، للسلمي ص ١٦٦)

(٤٥) قوت القلوب في معاملة المحبوب، ٢/ ٢٠٩.

(٤٦) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: (٤٧١ – ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ – ١١٦٦ م)، مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر (انظر: الأعلام، الزركلي، ٤/ ٤٦،).

(٤٧) الغنية لطالبي طريق الحق، ١/ ١٦٤.

(٤٨) محمد بن محمد الخادمي: فقيه أصولي، من علماء الحنفية، أصله من بخارى، ولد في قرية (خادم) من توابع قونية. سنة ١١١٣هـ، قرأ على أبيه وغيره، واشتهر بدرس ألقاه في أياصوفية باستنبول، في تفسير الفاتحة. ومن مصنفاته: مجمع الحقائق، والبريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية للبركلي، شرح الرسالة الولدية للغزالي، وتوفي سنة ١١٧٦هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، ٧/ ٦٨.

(٤٩) أخرجه أبو داود في سننه،كتاب السنة، باب في لزوم السنة،ح (٤٦٠٧)،٤/ ٢٠١، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(٤٦٠٧) ص: ٢.

كالعبد الحبشي يجب عليكم الطاعة لكن هذا إن كان أمره على نهج الشرع، وإلاّ فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق"(٥٠).

إلا أن متأخري الصوفية على خلاف ذلك، ففي مسألة البيعة نجدهم يقسمون البيعة إلى بيعة عامة وهي للإمام وبيعة خاصة وهي للشيخ الصوفي، يقول الشعراني: " قال الشيخ محيي الدين في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ النساء: ٥٩ المراد بأولي الأمر الأقطاب والخلفاء والولاة ولكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فإن الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لأولي الأمر إلا المباح فإذا أمرك الإمام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم الإباحة منه بأمر هذا الإمام الذي بايعته " ا. هـ. (٥١).

ويقول محمد بن على – رحمه الله –(٥٢): أطع الله عز وجل فإن تمَّ لك ذلك وإلا فاستعن بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله عز وجل، فإن وصلت إلى ذلك فاستعن بطاعة الأئمة والمشايخ على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تسقط عن هذه الدرجة فتهلك(٥٣).

والاستعانة بطاعة الأئمة والمشايخ على طاعة الله لم يقل بها أحد من أئمة السلف، وإنما هي من بدع الصوفية.

كما انتقد بعض متقدمي الصوفية مسلك الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة ، والذي يحكمون بكفره خلافا لأهل السنة، يقول الحارث المحاسبي:" وقولكم إذا أتى كبيرة فليس بمومن دعوى منكم لا برهان لكم عليها. وقد قالت الخوارج إنه إنما أراد به من أتى كبيرة فهو كافر فما دعواكم إلا كدعواهم أو ترجعون جميعا إلى قول أهل الحق فتقطعون بما قطع الله جل وعز

(٥٠) البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية للبركلي، ١/١٢٨.

(٥١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الشعراني، ص٤٥٠.

(٥٢) هو محمد بن علي بن الحسن أبو بكر الصوفي يعرف بالشيلماني، ذكره البغدادي في تاريخ بغداد، ٤/ ١٣٩.

(٥٣) حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق: سيد عمران، ص١٥١.

من عذاب الجاحدين ومغفرة للتائبين والوقوف عند من استثنى من الموحدين فما دون الشرك وإلا كنتم مدعين مبطلين، ونحن نسألكم عن معنى قولكم حتى نقرركم بأن قولكم خلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة"(٥٤)، ولذا يقول سهل التستري في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨] قال: إذا لم يكن بينه وبين أحد مظلمة، وإنما كانت ذنوبه فيما بينه وبين الله تعالى، فإنه يغفرها وهو الجواد الكريم(٥٥)، فلم يفرق هنا بين كبائر الذنوب وصغائرها في المغفرة، بل أخبر أن الله تعالى يغفرها جميعا مادامت غير متعلقة بحقوق العباد.

٢ ـ موقف الصوفية من الإرجاء والمرجئة .

استنكر بعض متقدمي الصوفية على أهل الإرجاء الذين يرون أنَّ المؤمن لا تضره معصية، كما أن الكافر لا تنفعه طاعة، فلذا تركوا العمل، كما يقول إسحاق بن راهوية(٥٦): (غلت المرجئة حتى صار من قولهم: إن قوما يقولون: من ترك المكتوبات، وصوم رمضان، والزكاة، والحج، وعامة الفرائض من غير جحود بها أنا لا نكفّره، يرجى أمره إلى الله بعد؛ إذ هو مقر، فهؤلاء المرجئة الذين لاشك فيهم) (٥٧)، ومن نماذج استنكار متقدمي الصوفية للإرجاء، ما ذكره السهروردي- صاحب عوارف المعارف - حيث قال: "ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد ولا يثبتون، ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلاً، ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء، وأن لا فعل لهم مع فعل الله، ويسترسلون في المعاصي، وكل ما تدعو النفس إليه، ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة، والاغترار بالله والخروج من الملة، وترك الحدود والأحكام، والحلال والحرام"(٥٨).

---

(٥٤) المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها و محظورها، للحارث المحاسبي (١٠٥، ١٠٦)

(٥٥) تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل، صـ٥٤.

(٥٦) هو الإمام الحافظ الكبير، شيخ أهل المشرق وعالمها،كان يكنى أبا محمد، وكان فقيهاً جليلاً تتلمذ على والده والإمام أحمد، وشهرته ابن راهوية، وإنما اشتهر بها، لأن والده ولد في طريق مكة فقالت المراوزة: راهوية،، ينظر: تذكرة الحفاظ (٢/٢٣٣-٢٣٤)

(٥٧) انظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية ، حرب الكرماني، صـ٣٧٧.

(٥٨) انظر: عوارف المعارف، السهروردي، صـ٥٣.

وعن عبدالرحمن السلمي[٥٩] قال: سمعت أبا بكر الرازي[٦٠]، سمعت أبا محمد الجريري[٦١]، يقول: سمعت الجنيد[٦٢] يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال الرجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى. فقال الجنيد: إن هذا قَوْلُ قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالًا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه يرجعون فيها، ولو بقيت ألف عام لم أُنْقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بي دونها، وإنها لآكد في معرفتي، وأقوى لحالي[٦٣] وفي رواية أخرى أنهم حين زعموا أن إسقاط التكاليف إنما كانت وسيلة إلى الوصول، فقال لهم الجنيد: "صدقوا في الوصول ولكن إلى سقر"[٦٤].

ويرى المحاسبي أن الإرجاء بدعة سيئة، سببها عدم الاهتداء بالكتاب والسنة، فهو يقول :"فأول منزلة من الرعاية...الرعاية عند الخطرات...فلا تخطر بقلبه خطرة من أعمال قلبه، إلا جعل الكتاب والسنة دليلين عليها...فإنه قد يقبل الخطرة، يرى أنها داعية إلى سنة وهي بدعة...كالخطرة تدعو إلى الإخلاص بترك العمل...أو إلى الإرجاء بتعظيم الأقدار وتنزيه الإيمان من النقصان"[٦٥].

---

(٥٩)هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى... السلمي (٣٢٥ – ٤١٢ هـ = ٩٣٦ – ١٠٢١ م)، الإمام، الحافظ، المحدث، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري، الصوفي، صاحب التصانيف، من علماء المتصوفة. قال الذهبي: (شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية) . (الأعلام، الزركلي، ٦/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/ ٢٤٧)..

(٦٠) هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي، الحنفي، صاحب التصانيف، تفقه بأبي الحسن الكارخي وكان صاحب حديث ورحلة،كان يزيد حاله على منزلة الرهبان في العبادة، وكان يميل إلى الاعتزال وفي تواليفه ما يدل على ذلك. مات في ذي الحجة سنة ٧٠هـ وله خمس وستون سنة، انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤١/١٦).

(٦١)هو أحمد بن محمد بن حسين، أو ابو محمد الجريري، من أحد ائمة الصوفية، وصحب السقطي وسهل بن عبد الله التستري ، وكان الجنيد يكرمه ويحترمه. ينظر: طبقات الصوفية (٢٠٣/١)..

(٦٢)هو الحسين بن محمد أبو القاسم الخزاز، ولد سنة ٢٢٠ هـ وصحب الحارس المحاسبي، وسمع من السري السقطي وأبا حمزة البغدادي، ويلقب بشيخ الصوفية ،. ينظر: سير أعلام النبلاء(٦٦/١٤).

(٦٣) انظر: عوارف المعارف، السهروردي، ص٥٣.

(٦٤) انظر: اليواقيت والجواهر، الشعراني، ص٢٠٦.

(٦٥) الرعاية لحقوق الله (٨٧).

أما الغلاة من الصوفية فقد وقعوا في الإرجاء الذي انتقده متقدموهم ، وزعموا أنَّ العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة، واختار الإيمان على الكفر، سقط عنه الأمر والنهي، ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر، وتسقط عنه العبادات الظاهرة، وتكون عبادته التفكر(٦٦)، ومن نماذج هذا الغلو والإرجاء ما نَسب إلى ابن عطاء(٦٧) أنه قال: "العارف لا تكليف عليه"(٦٨)، وعن أبي يزيد البسطامي(٦٩) أنه أخرج من كمه رغيفًا وأخذ في أكله في المدينة وكان هذا في شهر رمضان(٧٠)، ونقل عن أبو بكر الشبلي(٧١) قوله: "يا ويلاه إن صليت جحدت، وإن لم أصل كفرت"(٧٢).

٣ ـ موقف الصوفية من المعتزلة:

أ ـ في الصفات: ينفي المعتزلة الصفات، ويجادلون عن ذلك، ويحتجون على أهل السنة قائلين: "أزعمتم أن الله(عز وجل) امتدح بأن الأبصار لا تدركه، ثم زعمتم أن هذه المدحة تبدل في الآخرة فتراه العيون، وهذا نسخ المدح؛ لأنه امتدح بأن الأبصار لا تدركه ولم يستثن في الدنيا فزعمتم أنها تدركه في الآخرة نظرا. قالوا لو جاز أن يغفر الله لأهل الكبائر بعدما قال إنني معذبهم وأن جزاءهم النار لجاز أن يغفر لأهل الكفر كذلك قال: إني أعذبهم وإن جزاءهم النار، ولو جاز أن تراه الأبصار بعدما نفى الرؤية لجاز في قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا

(٦٦) إتحاف السادة المتقين، ٢/ ٢٨٤.

(٦٧)ابن عطاء الله السكندري هو : أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفضل ، وهو من أهل التصوف الغلاة ، يسير على الطريقة الشاذلية الضالة ، وهو من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد ادَّعى عليه عند السلطان ، وألَّب عليه السفهاء ، توفي بالمدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ ودفن بمقبرة المقطم. ينظر: الأعلام للزركلي(٢٢١/١).

(٦٨) الطبقات الكبرى، ١/ ٩٦.

(٦٩) هو أبو يزيد طيفور ابن عيسى البسطامي، أحد الزهاد وكان جده مجوسيا فأسلم وله مقالات في التصوف كثيرة، تَوفي عن ٧٣ سنة وذلك في سنة ٢٦١هـ. ينظر: طبقات الصوفية صـ (٦٧-٧٤)..

(٧٠) كشف المحجوب، صـ٧٨.

(٧١) شيخ الطائفة عندهم، وقيل اسمه دلف بن جحدر، وقيل جعفر بن يونس، ولد بسامراء سنة٢٤٧هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ عن عمر يناهز نيف وثمانين سنة. ينظر سير أعلام النبلاء (٣٦٩/١٥).

(٧٢) التعرف، الكلاباذي، صـ ١٦١.

يُطۡعَمُ ﴾ [الأنعام:١٤] أن يطعم في الآخرة ولا يطعم في الدنيا"(٧٣). فيصفهم الحارث المحاسبي بأنهم" أبعدوا في القياس وادعوا علينا ما لم نقله. معاذ الله! أن نقول إن أخبار الله ومدحه تنسخ، وهو الصادق في كل حال، والكمال لم يزل ولم يزول، ولكننا نقول إن لله جل ذكره إخبارا عاما وإن اتفق ظاهر تلاوتها، فهو مختلف في معاني الخصوص والعموم"(٧٤).

وهذا التوجه منهم أثار استغراب مسكويه(٧٥) فتساءل "ما بال أصحاب التوحيد المعتزلة لا يخبرون عن الباري إلا بنفي الصفات"(٧٦).

أما متأخرو الصوفية فقد غلوا في باب الصفات حتى زعموا رؤية الله في الدنيا، وادعوا الحلول ووحدة الوجود والفناء وغير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي تنافى مع صفاته تعالى، وأنَّه ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه لا تدركه الأبصار، ومن نماذج ذلك ما روي عن أبي يزيد البسطامي أنَّ الله رفعه إليه فرآه وكلمه، وأذن له أن يحل فيه، فهو يقول: "رفعني مرة- يعني الله — فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا"(٧٧)، ويقول الحلاج: "رأيت ربي بعين ربي، فقال: من أنت؟ قلت: أنت"(٧٨)، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ب ـ في أن لازم قولهم إنكار الشفاعة:

لازم قول المعتزلة أنه لا شفاعة، ولذلك للمخالف لهم في ذلك ـ كالحارث المحاسبي ـ أن يحتج عليهم ويقول: "شفاعة النبي(ﷺ)، لا تجوز على قولكم في الآخرة؛ لأن صاحب الكبيرة

(٧٣) العقل وفهم القرآن، للحارث المحاسبي، تحقيق د. حسين القوتلي(٣٧١، ٣٧٢)

(٧٤) العقل وفهم القرآن(٣٧٢)

(٧٥) هو أحمد بن محمد بن يعقوب أبو علي الخازن صاحب التجارب ابن مسكويه مات فيما ذكره يحيى بن منده في تاسع صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، وقال الثعالبي في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان في ريعان شبابه متصلا بابن العميد مختصا به. (الوافي بالوفيات، الصفدي، ٨/ ٧٣).

(٧٦) الهوامل والشوامل، نشرة أحمد أمين، مسألة ١٢٢، ص٢٧٨.

(٧٧) اللمع، الطوسي، ص٤٦١.

(٧٨) طواسين الحلاج، عناية ماسينيون، ص١٦٧.

الله معذبه لا محالة، ولا يستحل النبي(ﷺ) أن يشفع فيه، فيكون يطلب إلى الله عز وجل أن يخلف قوله، ويكذب وعيده على دعواكم"(٧٩).

ت ـ في مسألة خلق القرآن:

فتنة خلق القرآن من المسائل التي تولى كبرها المعتزلة" وكان مما استدلوا به أنه كلام مخلوق: أنه ينسخ بعضه ببعض. قالوا: ولو لم يكن مخلوقا ما جاز عليه النسخ ولا التبديل، وقد جهلوا المعنى، وجاروا عن الحق؛ لأن الله جل وعز لم ينسخ كلامه بكلامه، وإنما ينسخ مأمورا به بمأمور به، فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه"(٨٠).

وهم مضطربون في ذلك فقد "سأل جعفر بن حرب(٨١) أبا الهزيل المعتزلي(٨٢) عمن لم يقل من العامة: القرآن مخلوق أيكفر؟ فقال له أبو الهزيل: لا، ثم قال له: فإذا قال أحد: السماء ليست مخلوقة أيكفر؟ قال أبو الهزيل: نعم. فسأله جعفر بن حرب عن الفرق بين هذا وهذا قال: القول الأول مختلف فيه والثاني مجمع عليه. ثم علق التوحيدي بأن المعتزلة" في دهرنا يتسارعون إلى الكفر كتسارع الورد إلى المنهل وما أدري ما يبعثهم على ذلك إلا سوء النزعة وقلة المراقبة" (٨٣).

ث ـ في مسألة رؤية الله في الآخرة:

يغلظ الحارث المحاسبي في القول للمعتزلة ويصفهم بأنهم "قوم ضلال ...وهم الذين يقولون: إن القرآن مخلوق...والذين ينكرون أن الله عز وجل يرى في الآخرة"(٨٤). فالذي يزعم أنه

---

(٧٩) العقل وفهم القرآن(٣٩٠)

(٨٠) العقل وفهم القرآن(٣٦٣، ٣٦٤)

(٨١) هو جعفر بن حرب الهمداني (١٧٧ – ٢٣٦ هـ = ٧٩٣ – ٨٥٠ م): من أئمة المعتزلة. من أهل بغداد. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة.. (الأعلام، الزركلي، ١٢٣/٢).

(٨٢) هو محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف (١٣٥ – ٢٣٥ هـ = ٧٥٣ – ٨٥٠ م) : من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام.. (الأعلام، الزركلي، ٧/ ١٣١)، والوافي بالوفيات، الصفدي، ٥/ ١٠٧.

(٨٣) البصائر والذخائر(٤/ ٢١٦).

(٨٤) الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، ص٣١١.

يدرك الله عقلا لا بصرا متلاعب "لا علم له بالعقل ولا بالبصر ولا بالحقائق على ما هي عليه في أنفسها كالمعتزلي فإن هذه رتبته"(٨٥).

٤ ـ موقف الصوفية من الشيعة :

قد ألف أحد المتصوفة المتقدمين ـوهو أبو حيان التوحيدي ـ"رسالة السقيفة" وذكر أنه ألفها "ردا على الرافضة. وسببه أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء وكانوا يغلون في حال علي، فعملت هذه الرسالة" (٨٦).

وقد عقد "السرهندي"(ت١٠٣٤هـ) – على الرغم من كونه من متأخري الصوفية – في كتابه «المكتوبات»: "المكتوب الرَّابع والخمسون في بيان أنَّ الاجتناب من صحبة المبتدع لازم، وأنَّ ضرر صحبتهم فوق ضرر صحبة الكفَّار، وأنَّ شرَّ الفرق المبتدعة الشيعة الشنيعة"(٨٧)، وتابع تحت هذا المكتوب تأكيده أن: "فساد صحبة المبتدع، أزيد من فساد صحبة الكافر، وأخبث جميع المبتدعين وأخسُّهم طائفة يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ"(٨٨).

كما يصف الحارث المحاسبي الشيعة بالضلال والكبر فيقول: "ومن العباد قوم ضلال، قد جمعوا إلى الضلال الكبر، لا يرون أن أحدا يقول الحق على الله عز وجل غيرهم، وأنه لا مهتد في الأرض غيرهم...ومنهم الرافضة...يشتمون أصحاب رسول اللهﷺ، والذين يشتمون عائشة أم المؤمنين–رضي الله عنها–، المبرأة من الإفك رحمها الله"(٨٩) وهم يتذرعون بحب آل البيت، وهذا لا يخالفهم فيه أحد "إلا أنهم تعدوا من حب أهل البيت إلى طريقين: منهم من تعدى إلى بعض الصحابة وسبهم، حيث لم يقدموهم، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية، فكان منهم ما قد عرف واستفاض، وطائفة زادت إلى سب الصحابة

(٨٥) الفتوحات المكية، لابن عربي(٦/ ١٤٧، ١٤٨).

(٨٦) ميزان الاعتدال(٤/ ٥١٨).

(٨٧) الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة: (٩٧/١).

(٨٨) السابق، الموضع نفسه.

(٨٩) الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، ص ٣١١، ٣١٢.

القدح في رسول اللهﷺوفي جبريل عليه السلام، وفي الله جل جلاله"[٩٠]. وهذا مما وافقوا فيه أهل السنة، مع الاعتقاد أن بغض الروافض للصحابة، إذا تعدَّى إلى سبِهم ولعنهم، فهو كفر[٩١].

إلا أن الأمر قد اختلف بعد انتشار التصوف ، فامتزج الصوفية بالشيعة والشيعة بالصوفية، بحث لا تستطيع أن تفرق هل هذا شيعي متصوف أم صوفي متشيع "كحيدر بن علي الآملي[٩٢] المتوفى بعد سنة ٧٨٢/ ١٣٨٠ وابن فهد الحلي[٩٣] المتوفى سنة ٨٤١/ ١٤٣٨ وأبناء صفي الدين الأردبيلي[٩٤] المتوفى سنة ٧٣٥/ ١٣٤٣ الذين مهدوا لقيام الدولة الصفوية سنة ٩٠٥/ ١٤٩٩ والمحسن الفيض[٩٥] المتوفى سنة ١٠٩١/ ١٦٧٩ وغيرهم"[٩٦].

وكثير من العقائد وافق فيها الصوفية الشيعة، فالعصمة مثلا التي هي من أبرز عقائد الشيعة حيث جعلوا أئمتهم كالأنبياء فقالوا: "إن الإمام يجب أن يكون معصوما"[٩٧]، وقال ابن

(٩٠) الفتوحات المكية، لابن عربي، السفر الرابع (٢٨٠، ٢٨٢).

(٩١) انظر في حكم سب الصحابة: الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية: ص٥٦٩ –٥٧١، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: (٣٠٧/٢).

(٩٢) هو حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسني الآملي، بهاء الدين الطبري القاشي: (٧٨٢ هـ- ١٣٨٠م) فقيه متكلم، مفسر، من أهل (آمل) بطبرستان. نشأ بالحلة واستقر ببغداد وصنف كتبا، منها (الكشكول في بيان ما جرى على آل الرسول) و (التفسير) أربعة كتب ... (الأعلام، الزركلي، ٢/ ٢٩٠).

(٩٣) هو أحمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلي: (٧٥٧ – ٨٤١ هـ = ١٣٥٦ – ١٤٣٧ م)، فقيه إمامي. مولده في الحلة السيفية وإليها نسبته، ووفاته وقبره بكربلاء (الأعلام، الزركلي، ١/ ٢٢٧).

(٩٤) هو الشيخ صفي الدين إسحاق بن جبريل بن قطب الدين بن صلاح الدين .... ابن موسى الكَاظم الأَردبيلي، المتوفى بها في محرم سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ولد بأردبيل ولما أدركته الجذبة رحل إلى شيراز، فنزل بخانقاه الشيخ خفيف الشيرازي،... أقام بزاويته مرشدا داعيا إلى الله مدة ثلاثين سنة، ثم قضى نحبه ودفن بزاويته. والشيخ صفي الدين هذا جد الصفوية المشهورة بقزلباش،. (سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، ١/ ٢٩١).

(٩٥) هو محمد محسن بن مرتضى بن محمود الشهير بالفيض الكاشاني، الشيعي (١٠٠٧ – ١٠٩١ هـ) (١٥٩٩ – ١٦٨٠ م)،

مفسر من آثاره: الصافي في كلام الله الوافي الكافي الشافي، والأصفى وكلاهما في التفسير. (الأعلام، الزركلي، ١١/ ١٧٥).

(٩٦) الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل مصطفى الشيبي(١٢)

(٩٧) منهاج الكرامة للحلي، ص:٧١.

بابوية القمي(٩٨) الملقب بالصدوق عند الشيعة: "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا...اعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والاتمام والعلم..." (٩٩)

ثم نجد أن الصوفية يحذون حذو الشيعة حذو النعل بالنعل فيقول أبو الحسن الشاذلي(١٠٠): "إنّ من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة"(١٠١) ويروى السلمي في طبقات الصوفية عن أبي بكر محمد الدينوري(١٠٢) أنّه سئل عن علاقة الصوفي ما هي؟ فقال: "أنْ يكون مشغولا بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوما عن المذمومات"(١٠٣).

وفي عقيدة الحلول والتناسخ التي يدين بها الشيعة فيعتقدون في أئمتهم أنهم ظهروا في مختلف الصور في الأزمنة المتعددة، والأمكنة المختلفة، وهم الذين ظهروا في أيام آدم بصورة آدم وفي دور نوح بنوح، وينسبون إلى علي بن أبي طالب كذبا أنه قال: "أنا ومحمد نور واحد من نور الله...أنا صاحب الرجفة، صاحب الآيات...أنا أهلكت القرون الأولى، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون...أنا الكتاب...أنا اللوح المحفوظ...أنا القرآن الحكيم...وكذلك الأئمة المحقون من ولدي، لأنا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان"(١٠٤).

---

(٩٨) هو علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو الحسن: [... – ٣٢٩ هـ / ... – ٩٤١ م]، فقيه، مفسر، كان شيخ الإماميين بقم في عصره، مولده ووفاته فيها. من كتبه "تفسير القرآن".(الأعلام، الزركلي، ١/ ٣٥٨)، ومعجم المفسرين، عادل نويهض، ٥٧٧/٢.

(٩٩) كتاب اعتقادات الصدوق، ص:١٠٨.

(١٠٠) هو الشيخ الكبير أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الشريف الحسني، كان مبدأ ظهوره بشاذلة على القرب من تونس، (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، بن علي باخرمة، الهجراني، ٥/ ٢٤٣).

(١٠١) كتاب القصد للشاذلي المنقول من كتاب" الصلة بين التصوف والتشيع" ٤١٧/١.

(١٠٢) هو عبد الله بن محمد بن وهب، أبو محمد الدينوري (٣٠٨ هـ –٩٢٠ م): مفسر من حفاظ الحديث، قال الذهبي: سمع الكثير وطوف الاقاليم. وقال الدّارقطني " متروك الحديث. من تصنيفه " الواضح في تفسير القرآن. (الأعلام، الزركلي، ٤/ ١١٩).

(١٠٣) طبقات الصوفية للسلمي، ص: ١٠٩.

(١٠٤) ينظر: زهر المعاني لإدريس عماد الدين الباب السابع عشر، ص:٧٤.

ورووا عنه أيضا أنه قال لسلمان الفارسي: "أنا أحيي الموتى، وأعلم ما في السموات والأرض، وأنا الكتاب المبين، يا سلمان، محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق..." (١٠٥).

والصوفية يوافقونهم في عقيدة التناسخ هذه فقد ذكر عبد العزيز الدباغ الإبريز أن روح الولي تقدر على أن تخرج من ذات الولي وتتصور بصورة غير صورته(١٠٦). وأيضا ذكر الشعراني(١٠٧) عن صوفي أنه: "ظهر لأعدائه في هيئة أسد عظيم"(١٠٨) وكذلك ذكر المنوفي(١٠٩) في جمهرته: صوفيا: "كان يظهر من مظهر السباع والفيلة"(١١٠).

٥ ـ موقف الصوفية من المجسمة والمشبهة.

من الفرق التي شابهت أهل الكتاب أولئك المجسمة والمشبهة، حيث زعموا "أن الله جل وعز في كل مكان بنفسه، كائنا كما هو على العرش، لا فرق بين ذلك عندهم...كالنصارى زعمت أنهم يعبدون ثلاثة وأن ذلك ليس بشرك، وأن معنى الثلاثة معنى واحد، فلم يغن عنهم نفيهم الشرك بقولهم وقد دانوا به في المعنى. وكذلك جميع أهل الضلال ينفون الكفر ويتبرؤون منه وهم كافرون"(١١١).

وقد انتقد متقدمو الصوفية ذلك التجسيم والتشبيه في مواضع عديدة، فمن ذلك، أنَّ بعض الصوفية كانوا يعتقدون بالحلول والاتحاد، وهو يعدُّ تجسيما وتشبيها؛ إذ هو اعتقاد بحلول ذات الرب في إنسان أو حيوان- تعالى الله عن ذلك- فانتقدهم أبو عمرو الدمشقي

(١٠٥) مشارق أنوار اليقين، للحافظ رجب البرسي، ص:١٦١، طرائق الحقائق للحاج معصوم شيرازي ١/٧٧-٧٨.

(١٠٦) ينظر: الإبريز للدباغ، ص:٢٠٤ .

(١٠٧) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد (٨٩٨ – ٩٧٣ هـ = ١٤٩٣ – ١٥٦٥ م): من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة. له تصانيف، منها " الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية (الأعلام، الزركلي، ٤/ ١٨١).

(١٠٨) ينظر: طبقات الشعراني، ٢/٣.

(١٠٩) هو محمود أبو الفيض المنوفي، له كتاب: جمهرة الأولياء، طبع بمطبعة البابي الحلبي، عام ١٩٦٧.

(١١٠) ينظر: جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني، ٢/٢٦٤.

(١١١) العقل وفهم القرآن (٣٤٨).

الصوفي(١١٢) قائلا: "كيف يجوز أن يحل الحق في شخص هو أنشأه ملازما للنقص وكان عنه مستغنيا، وهو القاهر بجبارته البائن بصفاته عن صفاته خليقته، كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن كما كان(١١٣)".

أما متأخرو الصوفية فقد وقع كثير منهم في هذا التجسيم والتشبيه كما سيتضح في المبحث التالي.

المبحث الرابع: موقف الصوفية من بعضهم بعضا .

لم يقتصر موقف الصوفية على نقد مخالفيهم وإنما نقدوا بعضهم فيما رأوه مخالفًا للعقيدة الصحيحة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولعل من أهم المسائل التي انتقد الصوفية فيها بعضهم بعضا ما يلي:

أولا: قولهم بالحلول والاتحاد.

غالى بعض الصوفية فزعموا أنَّ روح الله تعالى تحلُّ في بعض المخلوقات، من إنسان أو حيوان أو أي دابة، وهذا بلا شكَّ إنما يعد طعنًا في صفات الله الذي نزه نفسه عن ذلك، فهو لا يشبه أحدا من مخلوقاته، فليس كمثله شيء، فالقول بذلك كفر به تعالى، ومع ذلك فقد ادَّعى الحلاج ذلك فقال: "أنا الحق، وما في الجبة سوى الله"(١١٤)، بل ادَّعوا أنَّ روح الله تحلُّ في البهائم والكلاب – تعالى الله عن ذلك- فقد روي أنَّ أبا حمزة الصوفي(١١٥) دخل دار الحارث المحاسبي فثغت شاة الحارث، فشهق أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدي، فأنكر عليه الحارث المحاسبي، فقال له أبو حمزة: إنَّ إنكارك علي يشبه أحوال المريدين

(١١٢) هو بلال بن سعد بن تميم أبو عمرو الدمشقي المذكر واعظ الشام وعالمها روى عن أبيه وله صحبة وعن معاوية وجابر بن عبد الله وغيرهم وروى له الترمذي ووثقه العجلي. (الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٠/ ١٧٤).

(١١٣) أصول الملامتية وغلطات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص١٩٩.

(١١٤) جمهرة الأولياء، المنوفي، ١/ ٢٦٦.

(١١٥) هو أبو حمزة الصوفي البغدادي محمد بن ابراهيم أبو حمزة، الصوفي البغدادي استاذ البغداديين قال ابن الجوزي في المرآة هو أول من تكلم ببغداد في هذا المذهب من صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة والشوق والقرب والأنس لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد وما زال مقبولا حسن المنزلة عند الناس إلى أن توفي سنة تسع وستين ومائتين ودفن بباب الكوفة في بغداد. (الوافي بالوفيات، الصفدي، ١/ ٢٥٥).

المبتدئين"[١١٦]، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها أيضا قول الشبلي: (أنا أقول وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري؟) [١١٧].

وقد انتقد بعض متقدمي الصوفية ذلك، فقد وصف القشيري من ألحد في الصفات أو قال بالحلول والاتحاد بأنه جاحد؛ لأن من "وصف الحق بخصائص وصف الخلق فقد جحد، ومن نعت الخلق بما هو من خصائص الحق فقد جحد"[١١٨]. وارتفع الهجويري بالوصف من الجحود إلى الكفر؛ لأن هذا "يقتضي المكان والتجزئة والحلول، وهو كفر محض، لأن المكان يكون من جنس المتمكن، وإذا قدر شخص أن المكان مخلوق فلابد وأن يكون المتمكن مخلوقا أيضا، وإذا قدر أن المتمكن قديم، فلابد وأن يكون المكان قديما أيضا. وبهذا القول يحصل نوعان من الفساد: فإما أن يقال إن الخلق قديم، أو أن الخالق محدث، وهذان كلاهما كفر فرؤيته هذه (أي رؤية الله في الأشياء) بمعنى رؤية آياته وأدلته وبراهينه فيها"[١١٩]. كما انتقد سراج الدين الطوسي[١٢٠] القائلين بالحلول ووصفهم بالإلحاد في صفات الله، خاصة من يقولون بانتقال صفات الله الإلهية الى ذات العبد فقال: "فلا يجوز قيام صفة قديمة بذات حادثة والموصوف بالصفات القديمة الذات القديمة"[١٢١].

فالله عز وجل ـ كما يقول أبو طالب المكي ـ"غير متصل بالخلق ولا مفارق، وغير مماس لكون ولا متباعد، بل متفرد بنفسه متحد بوصفه، لا يزدوج إلى شيء ولا يقترن به شيء"[١٢٢]. وذلك أن اتحاد الشيئين ـ أيضا ـ محال ولو كانا محدثين، فإذا اتحدا لا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال: إما كلاهما موجود فحينئذ ليسا متحدين، لأن كل واحد منهما موجود

(١١٦) اللمع، الطوسي، صـ٤٩٥.

(١١٧) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، صـ١٦٢.

(١١٨) لطائف الإشارات، للقشيري (١/٥٩٥).

(١١٩) كشف المحجوب، للهجويري (١/ ٣٠٢).

(١٢٠)هو عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق، أبو المحاسن، شهاب الدين الطوسي، ومزير السلطان سنجر شاه السلجوقي، كان فاضلاً، تفقه على إمام الحرمين الجويني، وأفتى وناظر، وهو ابن اخي نظام الملك، توفي في نيسابور سنة ٣٧٨ هـ ينظر : كتاب الأعلام للزركلي ص ٣٥٢هـ.

(١٢١) كتاب المعراج، للقشيري (١٩٨).

(١٢٢) قوت القلوب، لأبي طالب المكي (٣/ ١٢٦).

بوجوده، وإما معدوم، فحينئذ ليسا لهما وجود، فليسا بمتحدين، وإما أن يكون الواحد موجودا، والآخر معدوما، فليس هناك اتحاد أيضا(١٢٣).

ثانيا: في التواكل : يعدُّ التوكل مقاما هاما من مقامات الصوفية الأوائل، ذلك لأنه "أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل"(١٢٤) وقد فهمه الصوفية بادئ الأمر بفهم السلف، ولذا يقول التستري: حين "سئل ما حقيقة التوكل؟ قال: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد. فقيل: ما حق التوكل؟ فقال: أوله العلم وحقيقته العمل، ثم قال: إن المتوكل إذا كان على الحقيقة لا يأكل طعاما، وهو يعلم أن غيره أحق منه"(١٢٥). فقوله: (أوله العلم وحقيقته العمل) يشير إلى الفهم الصحيح للتوكل، وهو ما لا نجده لدى كثير من متأخري الصوفية، فقد جرَّ التأويل الباطل تلك الفرقة إلى أخطاء شنيعة أقلها اعتقاد أن القعود عن الحركة والعمل أفضل من الحركة له "وكان ما احتجت به هذه الطائفة التي زعمت أن القعود عن الحركة أفضل عندهم، وإنما الحركة في ذلك رخصة لضعفاء الخلق عن القعود...فقدموا أنفسهم ـ بخطأ التأويل، وبزلل الهوى والرأي على أصحاب محمدﷺ، وأقاموا الأكابر...مقام الضعف والوهن ـ تقديما منهم لأنفسهم وإيمانا منهم (بخطأ منهم) بصحة رأيهم، بلا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا آية من كتاب الله عز وجل"(١٢٦)، فمن غلوهم في باب التوكل، أنَّه صار لديهم تواكلا، يقول أبو سليمان الداراني(١٢٧): قال أبو سليمان: "لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط ولا جعلنا لباب

(١٢٣) انظر: المقصد الأسنى، للغزالي (١٣٥، ١٣٦).

(١٢٤) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم، دار السلفية، القاهرة، ط٢، مصر، ١٣٩٤هـ، ص٢٥٨.

(١٢٥) انظر: تفسير التستري، ص٨٢.

(١٢٦) المكاسب، للحارث المحاسبي، تحقيق سعد كريم الفقي، ط دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ط، د. ت(٣١)

(١٢٧) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان (٠٠٠ – ٢١٥ هـ = ٠٠٠ – ٨٣٠ م): زاهد مشهور، من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين (الأعلام، الزركلي، ٣/ ٢٩٤).

الدار غلقا مخافة اللصوص"(١٢٨)، وما رواه الهجويري من أن درويشا وقع في دجلة فرآه رجل وأدرك أنه لا يعرف السباحة، فقال له: أتريد أن أرسل إليك من ينقذك؟ فقال: لا، فقال له الرجل: أفتريد أن تغرق؟ فقال: لا، فقال له: فأي شيء تريد؟ فقال: أي شيء أريد؟ أريد ما يريده الله لي"(١٢٩).

ثالثا: في العزلة والفرار من الناس.

كان السلف يخالطون الناس ويأنسون بهم، مع جد في العبادة، ثم نشأت "فرقة –كما يقول المحاسبي- غلب عليها الاستيحاش من الناس والخلوة، وهي مع ذلك تتصنع بفرارها وتحب أن تشتهر به، وترتاح قلوبها بذكر العباد لذلك منها، مع تكبر على العامة وعجب بأعمالها، قد عمي عليها أكثر ذنوبها، إذ عدت أنفسها أنها أنيسة بالله عز وجل مستوحشة من خلقه"(١٣٠).

رابعا: في قولهم بإسقاط التكاليف.

انتقد بعض الصوفية القول بإسقاط التكاليف ، بل وحكموا على القائلين به بالزندقة ، وفي ذلك يقول عبدالقادر الجيلاني: "ترك العبادات المفروضات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال"(١٣١). وقد شبههم الحكيم الترمذي(١٣٢) بأنهم:" كمثل عبد وكله مولاه بأمواله وعبيده، فطالع عمله، فوجده إنما همته بطنه وفرجه، فإذا شبع وقضى نهمته من فرجه واكتسى، رفع البال عن عمل مولاه وعبيده، فهذا عبد ساقط المنزلة"(١٣٣).

---

(١٢٨) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ، ٩/ ٢٥٦.

(١٢٩) كشف المحجوب، الهجويري، ص٤٦٠.

(١٣٠)الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي (٣٧٦)

(١٣١)الفتح الرباني، عبدالقادر الجيلاني(٤٠)

(١٣٢)هو محمد بن علي بن حسن المعروف بالحكيم الترمذي، من أعلام الصوفية، قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: أَخرجوا الحَكيم من ترمذ، وشهدوا عَلَيْه بالكُفْر، وذَلك بسبب تَصنيفه كتَاب: ختم الوَلاَية، وكتَاب علل الشَّريعة وقَالُوا: إنَّه يقول: إنَّ للأَوْليَاء خَاتمًا كَالأَنْبياء لَهُم خَاتم، وإنَّه يفضّل الوَلاَية عَلَى النُّبوَّة ، انظر ترجمته في :سير أعلام النبلاء (١٣/٤٣٩)

(١٣٣)الأمثال من الكتَاب والسنة، للحَكيم الترمذي(١٣٢)

ويرى ابن برجان(١٣٤) أن كل من "اعتقد أن من بلغ منزلته في العلم استغنى عن العمل، وصار حرا وسقطت عنه العبودية...وصار حرا وخرج عن رق العبودية فهو زنديق"(١٣٥).

وقد أنكر عبد القادر الجيلاني على بعض غلاة الصوفية زعمهم أن التكاليف الشرعية تسقط عنهم إذا صفت نفوسهم أو علت مقاماتهم، وعدَّ ذلك من الزندقة، فهو يقول: "ترك العبادات المفروضات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال"(١٣٦).

وأنكر عليهم الغزالي – وكان صوفيًّا- إسقاطهم للتكاليف، بل أغلظ عليهم في الإنكار، فقال: "ومن جنس ذلك- يشير إلى إسقاط التكاليف- ما يدعيه بعض من يدَّعي التَّصوف أنَّه قد بلغ حاله بين وبين الله أسقطت عنه الصلاة وحلَّ له شرب الخمر والمعاصي، وأكل مال السلطان، فهذا مما لا شكَّ في وجوب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر؛ إذ ضرره في الدين أعظم، وينفتح باب من الإباحة لا ينسد"(١٣٧).

خامسا: تكفير الصوفية بعضهم بعضاً:

لم يقف نقد الصوفية لبعضهم بعضا عند حد الرمي بالبدعة أو الاتهام بالزندقة، بل تعداه إلى التكفير الصريح عند احتدام الخلاف.

فمن المتقدمين من كفر القائلين بحلول الله في مخلوقاته، ومنهم الهجويري ، إذ صرح بأن ذلك القول كفر محض، إذ يقول : " ... هذا يقتضي المكان والتجزئة المكان والتجزئة والحلول، وهو كفر محض، لأن المكان يكون من جنس المتمكن، وإذا قدر شخص أن المكان مخلوق فلابد وأن يكون المتمكن مخلوقاً أيضا، وإذا قدر أن المتمكن قديم، فلا بد

(١٣٤)ابن برَّجان: هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، أبو الحكم: متصوف. له: تفسير القرآن العظيم لم يكمله، وشرح أسماء الله الحسنى. توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر ترجمته في : فوات الوفيات(٢/ ٣٢٣)

(١٣٥)كتاب شرح أسماء الله الحسنى، لابن برجان، رسالة ماجستير بدار العلوم تحت رقم(٤٣٨/ ١٩٨٧) ج٣ ص (٥٨٩)

(١٣٦) الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، صـ٤٠.

(١٣٧) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي، اعتنى به: مصطفى القباني، ط١، مصر، ١٣١٩هـ، صـ٦٠.

وأن يكون المكان قديماً. وبهذا القول يحصل نوعان من الفساد، فإما أن يقال إن الخلق قديم، أو أن الخالق محدث، وهذان كلاهما كفر "(١٣٨).

وكذلك كفَّر أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي(١٣٩) الصوفية الذين قالوا بعقيدة الحلول، ورماهم كذلك بالخروج من الملة فقال: "من زعم الإشراف على الخلق، يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل فهو خارج عن الملة، ومن ادَّعى أن يصرف مآل الخلق ومتقلبهم، وعلى ماذا يموتون عليه ويُختم لهم بغير الوحي من قول الله ورسوله، فقد باء بغضب من الله ... ومن زعم أن صفات الله تعالى تحل بصفات العبد، فهو حلولي قائل باللاهوتية والإلتحام، وذلك كفر لا محالة، .. ومن قال إن شيئا من صفات الله حالٌ في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر"(١٤٠)

كما كفَّرهم القشيري كذلك بقوله:" كل من وصف المعبود بصفات الخالق أو أضاف إلى الخلق ما هو من خصائص نعت الحق فقد قال كلمة الكفر"(١٤١).

قال أحمد بن صديق الغماري(١٤٢)، في كتابه «الجواب المفيد للسائل المستفيد»، في فصل التراجم والأعلام، ما نصه: "وبعد، فأحمد التيجاني ليس عندنا معدودا من المسلمين، فضلاً أن يكون من الأولياء؛ بل هو أكبر دجال عرفته الأمة المحمدية من البعثة النبوية إلى يومنا هذا، وهو أكبر مضل، وأفجر فاجر بلي به هذا المغرب المنكود لسوء حظه، ولو أطلقنا عنان القلم في ذكر فجوره وكفره، والدلائل القاطعة على ذلك لأسمعناك العجب العجاب، بحيث لما طبع كتاب «مشتهى الخارف الجاني»(١٤٣)، احتقرنا مؤلفه؛ لكونه لم يشر إلى عشر مخازي

(١٣٨) كشف المحجوب،(٣٠٢/١).

(١٣٩) هو محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي: (٢٧٦ – ٣٧١ هـ = ٨٩٠ – ٩٨٢ م)، صوفي، شافعي. كان شيخ إقليم فارس. وهو من أولاد الأمراء تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتبا. (الأعلام، الزركلي، ٦/ ١١٤، ١١٥).

(١٤٠) نقلاً عن :التصوف في تراث ابن تيمية، د.محمود الطبلاوي، صـ ٩٠.

(١٤١) لطائف الإرشادات، للقشيري(٤٧/٢).

(١٤٢) هو أحمد أبو الفيض الغماري الحسني الأزهري(١٣٢٠-١٣٨٠هـ) ، متفقه شافعي مغربي، من نزلاء طنجة، تعلم في الأزهر، توفي بالقاهرة ، من مؤلفاته رياض التنزيه في فضل القرآن وحامليه. ينظر ترجمته على الرابط الالكتروني .https://shamela.ws/index.php/author/2814

(١٤٣) يقصد كتاب: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني، للشيخ محمد الخضر الشنقيطي.

الفاجر التيجاني – قبحه الله – مما نحفظه ونعرفه، فلو استملى منا ما نعلم، لكان كتابه قُنبلة ذرية في كَبد المبتدعة من أتباعه ومعتقديه، بل لا نبرئ معتقد ولايته من فساد دين – أي المعتقد– إذ لا يعتقد إسلام التيجاني مؤمن بالله ورسوله، فضلاً عن ولايته(١٤٤).

ويقول في الكتاب نفسه في فصل (الكتب العلمية) ما نصه: "وشرح أحمد سكيرج على مختصر بنيس في الطريقة التيجانية(١٤٥)، مطبوع بفاس وبتونس، وله تاريخ معنا، وذلك أن هذا الكتاب أول ما قرأته في الطريقة التيجانية سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، وهمشته من أوله إلى آخره، حيث حكمت فيه بكفر أحمد التيجاني وارتداده، وعرفت أنه دجال كافر حلال الدم، هو وأحمد سكيرج، وخرجت تلك النسخة من يدي، وعملت ضجة مع ما كنت أذكره من كفرياتهما في المجالس والمحافل، وبعد ذلك بنحو أربعة عشر عاما وقع جدال كبير بيني وبين الحافظ التيجاني– وقد أكفرته تبعا لشيخه– فأنكر كل ما حكيته عن ذلك الكتاب، ولم تمض سنة إلا وقد أتاني بالكتاب يتحداني أن أوقفه على ما ذكرته، وإذا هي طبعة أخرى قد حذف منها تلك الكفريات فبهت لذلك، ومن ذلك الوقت وأنا أبحث عن هذه النسخة المطبوعة بتونس، وكان سيدي عبد الله حاضرا هذه المناظرات مع الحافظ الدجال؛ فإذا أمكن أن تحصل لي من الكتاب نسخة، فأنا أدفع فيها ما يشاء ربها بشرط أن يكون فيها ما رأيت، ومن ذلك قول أحمد التيجاني لعنه الله: إنه الحقيقة التي خلقت الحقيقة المحمدية لأجله، وقوله: إن النبي ﷺ قال له يقظة: يا ولدي أنت خاتم الأولياء، كما أني خاتم الأنبياء، فكل من ادعى الولاية بعدك فهو كاذب"(١٤٦).

المبحث الخامس: موقف الصوفية من مخالفيهم من أهل السنة .

(١٤٤) انظر: الجواب المفيد للسائل المستفيد، أحمد الغماري: ص٦٥، وهذا الذي قال به الغماري هو ما عليه علماء السلف تجاه التيجاني ودعوته، وقد ألف بعض علماء أهل السنة المعاصرين في الرد على التيجانية وبيان ضلالاتها من ذلك (كتاب مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني تأليف الشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي والتيجانية لمؤلفه الدكتور علي بن محمد آل دخيل الله وكتاب كتاب الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي.

(١٤٥) يقصد كتاب: الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج، لأحمد سكيرج.

(١٤٦) السابق، ص٧٨.

لما كان الصوفية يزعمون أنهم أهل الحقيقة، وأنهم المختصون بذلك، وأنَّ علم الشريعة وعلماءها لا قيمة لهم في نظر الصوفية . قال أبو يزيد البسطاميّ: "أخذتم علْمكم من علماء الرسوم ميّتا عن ميّت، وأخذْنا علْمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدَّثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدَّثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات"(١٤٧).

لما كان كذلك أصبحوا من أشد الناس عداوة لعلماء أهل السنة والجماعة (علماء الشريعة)، الذين يأخذون علمهم عن الكتاب والسنة وفق منهاج النبوة، بفهم السلف الصالح؛ الذين يستنبطون الأحكام من النصوص.

ولما سبق فقد تنوعت مواقف الصوفية من أهل السنة والجماعة تنوعا يختلف باختلاف درجة التصوف ، ودرجة إيمانه بقانون الصوفية " علم الشريعة وعلم الحقيقة"عند من ينتقد أهل السنة ، إذ حكم الصوفي على علماء أهل السنة حكم على عقائدهم وليس حكما على أشخاصهم . وهذا التنوع يمكن إجمال صوره فيما يلي:

أولا : تبديع بعض الصوفية لأهل السنة .

كان لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري نصيب واف من تبديع الصوفية. ومن ذلك طعن الغماري في شيخ الإسلام ابن تيمية(ت ٧٢٨هـ) بقوله: "فإن كل مبتدع وضال بعد المقلدة إنما ضل حتى كفر بقراءة كتب ابن تيمية"(١٤٨)، وقال عنه: "... وكذب والله ابن تيمية متعمدا في كذبه، فلعنة الله على الكاذبين"(١٤٩).

وقال في موضع آخر في كتاب آخر : "أما مثل ابن تيمية، فهو عدو الله ورسوله، مجرم خبيث ضالٌّ مضلٌّ، لم يقتصر عدو الله على بغض الصوفية، بل أبغض إلى قلبه الفاجر

(١٤٧) الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني: (١/ ١٤).

(١٤٨) جؤنة العطار، الغماري: (١/٥).

(١٤٩) السابق: (١/٣٤).

منهم آل رسول الله ﷺ، وأوَّلهم وأشدُّهم ثُقلاً على قلبه علي بن أبي طالب ﷺ، فثبت نفاقه ...، فمن سمَّاه بعد شيخ الإسلام فهو منافق ضال مثله، قبحه الله"(١٥٠).

كما خصص الغماري (ت١٤١٣هـ)فصلاً في كتاب «المقالاتُ السُّنِّيَّةُ في كشف ضلالات أحمدَ بن تيمية»، أسماه: (**فصل في بعض بدع الوهابية والرد عليها**)، ذكر منه:

١- مَسألة إهداء القراءة لأموات المسلمين، فَبدَّع من أسماهم بالوهابية؛ لأنهم يقولون بالمنع، والعجيب أنه ذكر بعد ذلك بعدة أسطر الخلاف في المسألة، بل ذكر أن أغلب العلماء على المنع، فكيف تبدع من كان في صف أغلب العلماء إذن؟!!!(١٥١).

٢- مسألة تعليق التعاويذ والحروز، وتعجَّب من منع "الوهابية" من هذه التعاويذ والحروز التي ليس فيها إلا شيء من القرآن!(١٥٢).

٣- مسألة الصلاة على النبي (ﷺ) جهرا من المؤذن عقب الأذان، فقال "ومن بدع الوهابية التي سنها لهم محمد بن عبد الوهاب(ت ١٢٠٦هـ): الصلاة على النبي جهرا من المؤذن عقب الأذان"(١٥٣).

٤- مسألة المولد النبوي الشريف، فقال: "ومن بدعهم تحريمهم للمولد أشد التحريم، حتى قال أحد دعاتهم البارزين اليوم، وهو أبو بكر الجزائري(ت ١٤٣٩هـ): إن الذبيحة التي تذبح لإطعام الناس في المولد أشد حرمة من الخنزير(١٥٤).

٥- مسألة تحريمهم الصلاة في مسجد فيه قبر، فقال: "من بدع الوهابية: تحريمهم الصلاة في مسجد فيه قبر"(١٥٥).

---

(١٥٠) البحر العميق في مرويات ابن الصديق، لأحمد الغماري: (٥١/١).

(١٥١) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية، الشيخ عبدالله الهرري: ص٤١١.

(١٥٢) السابق، ص: ٤٢١.

(١٥٣) السابق، ص: ٤٢٩.

(١٥٤)المقالات السنية ، ص: ٤٣١.

(١٥٥) السابق، ص:٤٣٢.

٦- مسألة إنكارهم إدخال لفظ سيدنا في الصلاة على النبي ﷺ، فقال: "ومن بدعهم الفاسدة: إنكارهم إدخال لفظ سيدنا في الصلاة على النبي ﷺ"(١٥٦).

ومن عجب أنه يجعل مسألة (ذم التصوف وأهله من غير تفصيل) من البدع، فيقول: "ومن بدع هذه الفرقة الوهابية: ذم التصوف وأهله من غير تفصيل"؛ بل يجعل أصحاب تلك الطرق أهل الله، وعليه فإن طرقهم هي طرق أهل الله! وعليه أيضا فمن تعرض لهم بذم فهو مبتدع، فيقول: "ومن بدعهم الضالة: ذم طرق أهل الله كالرفاعية، والقادرية"(١٥٧).

ويرمي دحلان(١٥٨) في كتاب له بعنوان:"فتنة الوهابية" الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٦) بالابتداع، ويزعم أنه خالف أئمة الدين،"لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين بزعمه"(١٥٩).

ثانيا : اتهام بعض الصوفية أهل السنة بالحشوية المجسمة المشابهون لليهود .

رمى الكوثري(ت ١٣٧١هـ) عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ) واتهمه بأنه من الحشوية على طريقه أبيه ؛ إذ يقول عنه: "لم يتمكن من المضي على سيرة أبيه حتى ألف هذا الكتاب -يقصد كتاب السنة- تحت ضغط تيار الحشوية ، وأدخل فيه أَسفَّ ما يجافي دين الله، وينافي الإيمان به، فضلَّ به أصحابه ...، وسجل في كتابه الآراء الوثنية، فهل يشك مسلم في خروج من يعتقد ذلك من الإيمان إلى الوثنية الصحيحة؟

ثم يتابع الكوثري(ت ١٣٧١هـ) إسقاطه لعبد الله بن الإمام أحمد(ت٢٩٠هـ) بقوله: "إنه من الرواة المغفلين الذين دسَّ عليهم عبدة النار واليهود عقائدهم، ثم يرميه بمتابعة النصارى وبالمخادعة للمسلمين"(١٦٠).

---

(١٥٦) السابق، ص:٤٣٤.

(١٥٧) السابق، ص:٤٣٧، وما بعدها.

(١٥٨) هو أحمد بن زيني دحلان: فقيه مكي (١٢٣٢ - ١٣٠٤ هـ = ١٨١٧ - ١٨٨٦ م) مؤرخ. ولد بمكة وتولى فيها الإفتاء والتدريس، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة فطبع فيها بعض كتبه. ومات في المدينة. (الأعلام، الزركلي، / ١٣٠).

(١٥٩)فتنة الوهابية، أحمد زيني دحلان، ص٤.

(١٦٠) انظر: مقالات الكوثري: (١٠١) و(٣٠٧) و(٣١٥) و(٣٢٤) و(٣٢٥) و(٣٢٦) و(٣٢٩) و(٣٣٨).

وكذلك فعل "الكوثري" الصوفي القبوري(ت ١٣٧١هـ) في الإمام ابن خزيمة (ت ٣١١هـ) صاحب «الصحيح»، وصاحب كتاب «التوحيد»، فوصفه بقلة الدين والزندقة، فقال عنه: "عريق في التعصب جامع بين التعنت البالغ والتساهل المرذول، رماه البعض بقلة الدين والزندقة، واعتقاد ابن خزيمة يظهر في كتاب التوحيد له"(١٦١)، "وعنه يقول صاحب التفسير الكبير أنه كتاب الشرك"(١٦٢).

لم يسلم كثير من الأئمة الكبار لأهل السنة قديمهم وحديثهم من اتهامات الكوثري ، فمن المتقدمين الإمام حمَّاد بن سلمة (ت ١٦٧هـ)، والذي يقول عنه : "... أصبح أداة صماء بأيدي الحشوية...، وقال: إن من دافع عنه لا بد أن يكون جاهلاً بحاله أو زائغا"(١٦٣).

كما قال الكوثري (ت ١٣٧١هـ) عن ابن القيم(ت ٧٥١هـ) في موضع آخر: "لا يزيد عنه في الخروج على الإسلام والمسلمين، لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون في الشريعة"(١٦٤)، كما وصفه بأنه من إخوان اليهود والنصارى(١٦٥). وقال عنه: "الملحد، لعنه الله، وما أقبحه، وما أكثر تجرؤه، أخزاه الله"(١٦٦).

وممن أطلق لسانه في سب علماء السلف وشتمهم : الصوفي أحمد بن صديق الغماري المغربي(ت١٣٨٠هـ)؛ من ذلك ما سبَّ به السجستاني (ت ٢٧٥هـ)؛ إذ يقول عنه: "وأشهد بالله أن هذا الكذب من أبي داود؛ فإنه كان مشهورا بالنصب والكذب معا ... قبحه الله"(١٦٧).

(١٦١) انظر: تأنيب الخطيب، للكوثري: ص١٩٣.

(١٦٢) السابق، للكوثري: ص٤٧.

(١٦٣) تأنيب الخطيب، لزاهد الكوثري: ص٢٧٤.

(١٦٤) تبديد الظلام المخيم في الرد على نونية ابن القيم، من حاشية السيف الصقيل، لتقي الدين السبكي: ص٥٧.

(١٦٥) السابق: ص٣٩.

(١٦٦) السابق: ص٣٧.

(١٦٧) جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار ، أحمد بن صديق الغماري: (١/٣٩-٤٠).

كما وقع أيضا في الإمام الدارمي (ت ٢٨٠هـ) ووصفه بالتجسيم و بأقبح الصفات، والتي منها: إنه صاحب عقل وثني، مجسم مكشوف الأمر، يعادي أئمة التنزيه، بل إمام المجسمة(١٦٨).

ويصف دحلان(ت ١٣٠٤) شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) بالتجسيم فيقول: "ويكفي دليلاً على بدعية هذه الفائدة، شهادة ابن القيم(ت ٧٥١هـ) بأنه لم يرها لغير شيخه، أي أنه تفرد بها؛ لأنه يميل إلى التجسيم"(١٦٩). وفي كتاب له بعنوان «الرد المحكم» يصم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب(ت ١٢٠٦هـ) بالبدعة، فيقول: "وقد بلغني أن بعض المعاصرين ممن جمع بين بدعتي الوهابية والتجسيم تعرض لهذا الحديث"(١٧٠).

كما زعم عبد الله الحبشي، أن الوهابية-بزعمه- ترى أن أبا جهل وأبا لهب أكثر توحيدا من المسلمين الذين يقولون لا إله إلا الله(١٧١)، كما زعم أن الوهابية تقتدي باليهود؛ لاعتقادهم أن الله قاعد، وأنه يُقْعِدُ محمدا ﷺ على العرش(١٧٢)، كما اتهم عبد الله الحبشي علماء السنة من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، **بأنهم يقولون بقول اليهود:** إن الله خلق السماوات والأرض، ثم تعب فاستراح(١٧٣).

---

(١٦٨) انظر: مقالات الكوثري: (٢٨٣)، (٢٨٥)، (٢٨٧)، (٢٩٠)، ، (٣٠٨)، وانظر أيضا: تأنيب الخطيب، للكوثري: ص٢٦

(١٦٩) بدع التفاسير، الغماري: ص١٠.

(١٧٠) يقصد حديث عثمان بن حنيف ﷺ أن أعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصرى قال: «أو أدعك؟» قال يا رسول الله: إنه قد شقَّ علي ذهاب بصرى، قال: فانطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيِّ محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد: إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه في، وشفعني في نفسي، فرجع وقد كشف الله عن بصره، انظر: الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين ، عبد الله بن الصديق الغماري: ص١٥٠. والحديث رواه الترمذي، في أبواب الدعوات، برقم: (٣٥٧٨)، وقد نقله الغماري عن الترغيب والترهيب، للمنذري: (٤٧٣/١).

(١٧١) انظر: مجلة منار الهدى، عدد ٢٣ ، صـ ٣٤.

(١٧٢) انظر: مجلة منار الهدى ، عدد ٢٢ ، صـ ٢٦.

(١٧٣) انظر: مجلة منار الهدى ، عدد ٢٩ ، صـ ٦١.

ولم يقف أمر الحبشي عند هذه الأقوال؛ بل ادعى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي دين آخر غير دين المسلمين، إذ يقول: "أما دين الوهابية، فإنهم يكفرون المسلمين المتبركين برسول الله ﷺ وبأنبياء الله وبأوليائه، فالوهابية مخادعون مجرمون، فاحذروا الصهاينة...، واحذروا الوهابية"(١٧٤)، فسَّوى بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الصهاينة قاتله الله.

ثالثا : اتهام بعض الصوفية لأهل السنة بالقول بالتثليث وأن عقيدتهم غنوصية وهندوسية

ادعى بعض الصوفية المتأخرين أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أدخلت التثليث في عقيدة المسلمين، وذلك عن طريق تقسيم التوحيد إلى ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات، كما ادَّعى أن محمد بن عبد الوهاب أتى بما عجز عنه ابن تيمية، ورسخ عقيدة التثليث...، وجعل الأمة الإسلامية كلها مشركة ما عدا ابن عبد الوهاب وأتباعه دعاة التثليث(١٧٥).

ومن الأوصاف التي وصفت بها دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبل بعض الصوفية: أنَّ عقائدهم عقائد غنوصية(١٧٦) وهندوسية(١٧٧)...، وهي مذهب إرهابي،

(١٧٤) انظر: مجلة منار الهدى ، عدد ٢٩ ، ص ٦٣.

(١٧٥) خطر تقسيم التوحيد على عقائد المسلمين، لجنة البحوث والدارسات بالطريقة العزمية: ص٥٦ و٦٦ و٦٧ و٧٢ و٨٠ و٨١ ، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، وقارن أيضا: العقائد الوثنية والشرائع السماوية، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية: ص١١ و١٢ و١٢٠ و١٢٨.

(١٧٦) الغنوصية Gnosticism: مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية: غنوص Gnosis، ومعناها: المعرفة, غير أنها أخذت بعد ذلك معنى آخر اصطلاحيا، هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا. أو هو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن تلقى في النفس، فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية. انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: (١/ ١٨٦، ١٨٧)

(١٧٧)الهندوسية: ديانة الجمهرة العظمى في الهند، تبلورت فيها الملامح الهندية القديمة، والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة قبل دخول الآريين. أطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين. انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي(٣٧)

وتيار إرهابي خطير ...، وهذا الوباء الوهابي لا بد من اجتثاث تجربته الخبيثة، كما أنهم يرون أن هذه الطائفة المقلدة لمحمد بن عبد الوهاب مجسمة مكفرة، وهم مبتدعة خرَّاصون(١٧٨).

رابعا : تكفير بعض الصوفية لعلماء أهل السنة .

إن من أساب الحكم بالتكفير للمخالف عند الصوفية أن ينتقدهم أو ينكر عقائدهم ، وفي ذلك يقول كبيرهم ابن عربي واصفا منكري التصوف ومنتقديه بأنهم في مقام الفراعنة للرسل : "وما خلق الله أشق ولا أشد على علماء الرسوم على اهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسراره في خلقه وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل" (١٧٩)

وقال صاحب كتاب الحديقة الندية :" إياك أن تقول : طرق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فإنه كفر "(١٨٠)

ولما كان علماء أهل السنة هم أكثر الناس إنكارا وانتقادا لبدع المتصوفة فقد ناالهم من الأوصاف والتهم الشنيعة _ كما مر _ ما يتعفف اللسان عن ذكره فضلا عن يرمي به مسلما حريصا على الكتاب والسنة . ولم يقف الأمر عند هذه التهم والأوصاف السابقة بل تعداه إلى الرمي بالكفر صراحة على يد بعض من ينتسبون إلى الصوفية ، ومن هؤلاء ابن تومرت (ت ٥٢٤هـ) تلميذ أبي حامد الغزَّالي (ت ٥٠٥هـ)، فأَسَّس دولته الأشعرية الصوفية على أنقاض دولة المرابطين السنية، واتخذ موقفاً تكفيرياً صريحا من دولة المرابطين ولاةً ورعيةً؛ ولتأثر ابن تومرت بالفكر الخارجي عقد في كتابه «أعز ما يطلب» بابا بعنوان: (في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم)(١٨١)، ويقصد بهم أهل السنة، ونسبهم إلى الكفر؛ بسبب تجسيمهم، واقترافهم المظالم في حق الرعية، وهو ما يبدو في قوله: "باب

(١٧٨) راجع: الأحكام الواردة في تكفير الصوفية لدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب في خطر تقسيم التوحيد على عقائد المسلمين ، لجنة البحوث والدارسات بالطريقة العزمية: ص٣ و٥ و٦ و١٦ و٣٦.

(١٧٩) الفتوحات المكية لابن عربي (١٧٥/٢).

(١٨٠) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية لمحمد البغدادي ص ٣١.

(١٨١) انظر: أعز ما يطلب، محمد بن تومرت: ص٢٤٢.

فيما أحدثوه من المناكر والمغارم وتقلبهم في السحت والحرام يأكلون فيه ويشربون، وفيه يغدون وفيه يروحون، وتجسيمهم وكفرهم أكبر..."(١٨٢).

ويستمر المنهج التكفيري لأصحاب المعاصي عند ابن تومرت(ت ٥٢٤هـ) ، فيقرر بأن الولاة من المرابطين كفار، بسبب أنهم: "أباحوا أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى والأرامل، وتمالئوا كلهم على ذلك، وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت"(١٨٣).

ولم يقتصر حكم التكفير على الولاة، بل تعدَّاه إلى الخارجين عن طاعته، فمن أحكامه أن: "من لا يحفظ هذا التوحيد –الذي كتبه لهم– فليس بمؤمن، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته"(١٨٤).

وجاء أيضا في ترجمة أبي عبد الله علاء الدين البخاري العجمي الحنفي الصوفي(١٨٥) (ت٨٤١ هـ) أنه قال: "إن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام، فهو بهذا الإطلاق كافر"(١٨٦).

ولم يقف أمر تكفير بعض الصوفية لمخالفيهم من أهل السنة في العصر الحديث عند الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأعلام دعوته؛ بل تعدَّاه إلى غيرهم من العلماء من أمثال العلامة الشيخ حامد الفقي(ت١٣٧٨هـ) (١٨٧)، والذي كفره أحمد بن صديق الغماري، ووصفه بأقبح الصفات، قال في كتابه جؤنة العطار: "المبتدع الخبيث الضال، بل الكافر المشرك عدو الله حامد الفقي لعنه الله...، الكافر البليد"(١٨٨).

---

(١٨٢) أعز ما يطلب، محمد بن تومرت: ص٢٤٤.

(١٨٣) السابق: ص٢٢.

(١٨٤) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي: ص٢٢٧.

(١٨٥) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، عَلَاء الدّين البُخَاري، ولد سنة ٧٣٠هـ، فقيه حنفي من علماء الأصول. من أهل بخارى. له تصانيف، منها " شرح أصول البزدويَ، توفي سنة١٣٣٠هـ.

(١٨٦) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام السخاوي: (٢٩٢/٩).

(١٨٧) ولد الشيخ محمد حامد الفقي بمركز شبراخيت سنة١٣١٠هـ ، وهو أزهري سلفي أسس مجلة الهدي النبوي توفي سنة ١٣٧٨هـ أنظر: منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين(٢٤٠/١٥٥).

(١٨٨) جؤنة العطار، الكوثري: (٧٨/٣).

وقال عنه أيضا : "أما هذا اللعين الدنيء، فلا يشك في كفره إلا جاهل به، أو كافر مثله لعنه الله"(١٨٩).

وفي معرض حديثه عن "الفقي"، وهو يضبط كلمة (حران) بالكسر، قال عنه: "فضبطُها بكسر الحاء مع كونها بالفتح، أشهر من كفره وضلاله لعنه الله؛ لاسيما وهي بلد إمامه ابن تيمية الحراني الذي على قفاه يُجمع حطام الدنيا، وبسبب التقرب إلى أتباعه القرنيين يكفر بالله العظيم، ويقع في سيد الخلق ﷺ بما لا ينطق به كافر أصلي، ولا يصدر إلا من نذل لئيم دنيء، ساقط الأصل والخلق الفقي لعنه الله"(١٩٠).

ولم يقف حد الطعن والتكفير عند من سبق ذكرهم من الصوفية ، بل تعدَّاه إلى غيرهم من أمثال عبد الله الحبشي الصوفي القبوري (ت ١٤٢٩هـ) الذي حكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر، وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفره ومن اتبعه(١٩١).

ولم يسلم أهل السنة المعاصرون من تكفير الصوفية لهم، بل إن المعاصرين من الصوفية كانوا أشد غلواً وتكفيرا وكذبا على أهل السنة من أسلافهم، وقد كانت دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ – ١٢٠٦هـ) لها النصيب الأوفر من تكفير الصوفية المعاصرين لها، ورميها بأبشع الفرى والاتهامات.

ومن أكثر من باء بإثم هذا التكفير والكذب على أهل السنة: عبد الله الحبشي الصوفي القبوري (ت ١٤٢٩هـ) ؛ إذ يقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "ظهر في نجد رجل ضالٌّ مُضِلٌّ يدعى محمد بن عبد الوهاب، قرأ كتب أحمد ابن تيمية الحراني، فتأثر به وبعقائده الكفَرية، فاتبع الهوى، وتبعه على ذلك شرذمة قليلة تدعو إلى الكفر والضلال"(١٩٢).

---

(١٨٩) السابق: (٣/٨٦).

(١٩٠) السابق، ص٨١.

(١٩١) انظر: مجلة نور الهدى، العدد ٣ صـ ٢٣٤ ، وقارن له أيضا: المقالات السنية في ضلالات ابن تيمية.

(١٩٢) انظر: مجلة منار الهدى، عدد ٢٧ ، صـ ٣٥.

وممن كفر إمام أهل السنة في زمانه الإمام محمد بن عبد الوهاب: مفتي مكة أحمد بن زيني دحلان(ت ١٣٠٤هـ) ؛ إذ أصدر فتوى في مكة المكرمة – وقد كان قاضي الشرع فيها– بتكفير الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه(١٩٣).

ولم يكتف بذلك، بل قال في «الدرر السنية»: "والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة، إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك، وكان في أول أمره مولعا بمطالعة من ادعى النبوة كاذبا، كمسيلمة الكذاب...، فكأنه كان يضمر في نفسه دعوى النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها، وكان يقول لأتباعه: إني آتيكم بدين جديد ...، ولم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ إلا القرآن، ويؤَّله على حسب مراده؛ مع أنه إنما قَبِلَه ظاهرا فقط؛ لئلا يعلم الناس حقيقة أمره"(١٩٤).

ولم يقف أمر التكفير عند الأحباش ودحلان وأتباعهم لأهل السنة في العصر الحديث؛ بل كان لغيرهم من الطرق الصوفية نصيب وافر من تكفير أهل السنة وعلمائها، ومن تلك الطرق التي كالت التكفير والكذب لأهل السنة وعلمائها: الطريقة العزمية المنسوبة إلى محمد ماضي أبو العزايم (ت ١٣٥٦هـ) فهذه الطريقة أنشأت مواقع الكترونية على الشبكة العنكبوتية تحوي عشرات الكتب التي تصرح بكفر علماء أهل السنة(١٩٥)، بدءا من نبذ الإمام أحمد بن حنبل، ومرورا بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ثم وقوفاً عند

(١٩٣) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، لأحمد بن زيني دحلان: (٢/ ٦ و٧).

(١٩٤) الدرر السنية في الرد على الوهابية، لأحمد زيني دحلان: ص٥٠، وقد قام بتفنيد الأكاذيب الواردة في هذا الكتاب وغيره الكثير من أهل العلم، ومن ذلك:

أ- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ العلامة محمد بشير السهسواني الهندي.

ب- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د. عبد العزيز آل عبد اللطيف.

ت- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، للشيخ سليمان بن سحمان.

ث- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، للشيخ سليمان بن سحمان.

ج- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام، للشيخ سليمان بن سحمان.

ح- الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة و الإمامية، للشيخ سليمان بن سحمان.

(١٩٥) ومن هذه المواقع: "نقد الوهابية"، وآخر بعنوان: "المكتبة التخصصية في الرد على الوهابية"، وموقع: "سنة مباشر".

دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن سار معه وعلى دعوته على منهاج النبوة، والتي كالت لهم أبشع الاتهامات، وعلى رأسها التكفير والإخراج من ملة الإسلام.

المبحث السادس: وسطية أهل السنة مع مخالفيهم وبراءتهم مما وقع فيه الصوفية من الغلو.

إن من أصول أهل السنة أنهم: لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٧٨]، وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩](١٩٦).

وإن ما سبق من بيان تكفير الصوفية لمخالفيهم، ورميهم لهم بأبشع الألفاظ والتهم، كالكفر والوثنية ومشابهه اليهود، وغير ذلك مما ادعاه الصوفية كذبا وبهتانا ـ هذا كله ـ إن قارناه بما عند علماء أهل السنة من وسطية وتحر للدقة في الأحكام؛ خاصة ما يتعلق منها بالتكفير واعتدال يبين الفرق بين أهل البدع وأهل السنة، ويتبين به كذلك براءة أهل السنة مما اتهمهم به المخالفون ووقعوا هم فيه.

ولعل سوق بعض الأمثلة لبعض أعلام أهل السنة في عدالتهم مع المخالف، يوضح مدى دقة أهل السنة في اتباع الضوابط والقواعد المستمدة من كتاب الله تعالى في التعامل مع المخالفين والحكم عليهم، والتي تبين أنهم أبعد الناس عن التكفير بغير موجب.

ومن ذلك مسلك الإمام أحمد مع الجهمية القائلين بـ: خلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ـ مع أنهم آذوه، وامتحنوا الناس في ذلك، وكفروا من لم يقل بقولهم ـ حيث

(١٩٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٥١/٣).

كان يترحم عليهم، ويستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لم يبين لهم أنهم مكذبون للنبيﷺ ولا جاحدون لما جاء به، ولكن قلدوا غيرهم، و تأولوا فأخطأوا(١٩٧).

وقد جسد هذا المنهج الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ في قوله وهو يترجم لأحد من كان يقول بالقدر:"كان يرى القدر – نسأل الله العفو – ومع هذا، فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه. نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"(١٩٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "هذا مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها؛ وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية، وكنت أبين لهم أن ما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو أيضا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة الوعيد؛ فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[النساء: ١٠]، وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة، وهي بمنزلة قول من قال من السلف: من قال كذا فهو كذا، ثم الشخص المعين يلغي حكم الوعيد فيه بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، والتكفير هو من الوعيد؛ فإنه وإن

(١٩٧) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٣/ ٣٤٨، ٣٤٩).

(١٩٨)سير أعلام النبلاء(٥/ ٢٧١)

كان القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً، وكنت دائما أذكر الحديث الذي في «الصحيحين» في الرجل الذي قال: «إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مات فُعِلَ به ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»(١٩٩).فهذا رجل شكَ في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ، أولى بالمغفرة من مثل هذا"(٢٠٠).

وإن الناظر إلى مسلك شيخ الإسلام مع الصوفية: يراه لا يحكم على المتصوفة حكما عامًّا؛ بل يجعلهم ثلاث مراتب:

صوفية حقائق: وهم أهل الزهد والورع، وهو الصنف الذي حظي بمديح شيخ الإسلام.

وصوفية أرزاق: وهم الفقراء الذين كانت توقف عليهم الأوقاف.

وصوفية رسم: وهم الذين اقتصروا في النسبة إلى التصوف على اللباس والآداب التي يضعها شيخ الطريقة، وهي غير الآداب الشرعية، كالذي يلبس لباس العلماء وهو ليس منهم(٢٠١).

(١٩٩) صحيح البخاري: (٣٤٨١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، صحيح مسلم: (٢٧٥٦)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢٠٠) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣/ ٨١ ، ١٥٦ ، ١٦٧).

(٢٠١) انظر: مجموع الفتاوى: (١١/ ١٩ و٢٠).

ثم إذا أتى إلى أعلام التصوف يفرق بين المتقدمين والمتأخرين، فيصف المتقدمين بالشيوخ الأكابر، وهم الذين ذكرهم السلمي في «طبقات الصوفية»، والقشيري في «رسالته»: كالفضيل بن عياض(٢٠٢)، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي(٢٠٣)، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وغيرهم، ويذكر لهم أنهم كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب أهل الحديث(٢٠٤).

أما المتأخرون، فصنفان: منهم من هو على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، وهؤلاء صوفية المتكلمين كالغزالي، وهم دون الصنف الأول، ومنهم من سلك مسلك الفلاسفة، وهم الذين أسماهم صوفية الفلاسفة، وهؤلاء هم الذين أكثر شيخ الإسلام من النكير عليهم وفضح باطلهم، يقول شيخ الإسلام: "كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه، يعكسون دين الإسلام، فيجعلون أفضل الخلق المحقق عندهم وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا؛ بل كان ابن سبعين، وابن هود(٢٠٥)، والتلمساني، وغيرهم، يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين، ويقولون لمن يختص بهم من النصارى واليهود: إذا عرفتم التحقيق، لم يضركم بقاؤكم على ملتكم؛ بل يقولون مثل هذا للمشركين عباد الأوثان"(٢٠٦).

---

(٢٠٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي ، ولد بسمرقند، وأصله من الكوفة، وهو من أشهر الزهاد وأوائلهم وله أقوال كثيرة يتناقلها الصوفية من أشهر أقواله : " من عرف الناس استراح" ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي (٢٢/١)

(٢٠٣) هو عمرو بن عثمان بن كرب، أبو عبد الله المكي: (٢٩٧ هـ - ٩١٠ م) صوفي عالم بالأصول، من أهل مكة، له مصنفات في " التصوف " وأجوبة لطيفة في العبارات والإشارات، مات ببغداد، وقيل: بمكة. ". (الأعلام، الزركلي، ٥/ ٨١، ٨٢)

(٢٠٤) انظر: الصفدية، ابن تيمية: (١/ ٢٦٧).

(٢٠٥) هو الحسن بن عضد الدولة علي أخي المتوكل على الله ملك الأندلس ابن يوسف ابن هود الجذامي المرسي، أبو علي: (٦٣٣ - ٦٩٩ هـ = ١٢٣٥ - ١٢٩٩ م): فيلسوف متصوف، من بيت مجد. مولده في مرسية وكان أبوه نائب السلطنة فيها. تصوف واشتغل بالطب والحكمة، وحج وسكن الشام، وتوفي في دمشق. (الأعلام، الزركلي، ٢/ ٢٠٣).

(٢٠٦) السابق: (١/ ٢٦٨ و٢٦٩).

وعلى الرغم ما تعرض له أهل السنة من رمي بالكفر والبدعة زورا وبهتانا فقد كان منهجهم دوما الإنصاف مع مخالفيهم، ففي ترجمة الإمام أحمد في السير عن عبد الله بن محمد الوراق قال: "كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح. فقلنا: إنه يطعن عليك. فقال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بلي بي"(٢٠٧). فلم يرده عن الإنصاف معه العداوة التي بينهما.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لما تعرض لمقالة ابن عربي الصوفي القائل بالاتحاد في كتابه فصوص الحكم يقول:" وهي مع كونها كفرا فهو[أي ابن عربي] أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا؛ ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه"(٢٠٨). وهذا القول من شيخ الإسلام وإنصافه له لا يتعارض مع تكفيره له في مواضع توفرت فيها شروط التكفير وانتفت الموانع(٢٠٩).

كما أن الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب لم يحد عن هذا المسلك، رغم ما تعرض له من أذى فنراه ـ مثلا ـ يخاطب شيخه عبدالله بن محمد بن عبداللطيف(٢١٠) – أحد علماء الأحساء – الذي كان معارضا لدعوة الشيخ في رسالة طويلة يرجو له فيها الخير يقول فيها" فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب، فيها إنكار وتغليظ علي...تذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرجت لي كراريس من البخاري، كتبتها، ونقلت على هوامشها من الشروح، وقلت في مسألة الإيمان، التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به، فأعجبني هذا الكلام، لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين...

(٢٠٧)سير أعلام النبلاء(١١/ ٣١٧)

(٢٠٨) مجموع الفتاوى: (١٤٣/٢).

(٢٠٩) ينظر مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٢٧٩/٢)

(٢١٠) هو عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ناصر(جد أسرة آل عبد اللطيف), الملقب بالشافعي الصغير, ولد في أواخر القرن الحادي عشر أو مطلع القرن الثاني عشر, ونشأ في أسرة علمية مشهورة, فوالده وأعمامه وأجداده من العلماء المعدودين في الأحساء، توفي بالأحساء سنة ١١٨١هـ. انظر: فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم, تأليف الأستاذ عبد العزيز العصفور (٤٩٩/٢ وما بعدها)

فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي...وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله"(٢١١).

يخاطبه بهذا الكلام رغم أن الشيخ المخاطب من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بل قد ألف في ذلك كتابا أسماه" تجريد سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد".

خاتمة البحث وأهم النتائج.

بعد النظر في حدود المخالفة عند الصوفية من خلال ما عرف عندهم بما يسمى بعلم الحقيقة والشريعة، وما يترتب عليه عندهم من التقارب مع من يقولون بتلك العقيدة من جهة، والتباعد مع من ينكر هذه العقيدة وينتقدها من جهة أخرى، وبذا يعد مخالفا لمعتقدات الصوفية.

ومن ثم عمل الصوفية على أن يتخذوا موقفاً من مخالفتهم له؛ مخالفة تباينت بحسب نظر الصوفية إليهم، هذا التباين جعل الصوفية يحددون مواقفهم من مخالفيهم على النحو الذي مرَّ في ثنايا البحث.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

أولاً: إن من ينظر في معتقدات الصوفية، سيجد أن من الأسباب الرئيسة التي بنى عليها الصوفية مواقفهم من مخالفيهم، هي تلك العقيدة التي سموها بعلم الحقيقة والشريعة (الظاهر والباطن)، والتي تقوم على التفسير الإشاري القائم على صرف النصوص الشرعية عن مرادها إلى مراد آخر بعيد الاحتمال؛ اعتمادا على الخواطر والرؤى الخالية من الضوابط، وبنوا على ذلك أن للقرآن ظاهراً وباطنا؛ الظاهر يختص به العوام وأهل الشريعة، والباطن للخواص أهل الحقيقة من الصوفية وأتباعهم، وأصبح لدى الصوفية قناعة بأن من قبل هذا التأويل الإشاري فهو منهم، ومن لم يقبل به فهو من مخالفيهم الذين يجب على الصوفية أن يبينوا موقفهم منهم.

(٢١١)الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم(١/ ٣٥ وما بعدها)، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

ثانيا: يتخذ الصوفية موقفًا متدرجا ممن ليس صوفيًّا وهو من عوام المسلمين، فتارة يخوفونهم من سوء الخاتمة، وتارة يروعونهم ويتوعدونهم بالوعيد الشديد إذا لم ينخرط في التصوف ويتبع شيخاً من مشايخهم، ويحكمون عليه بأنه بعيد عن السعادة وواقع في الشقاوة، وتارة يصرحون بكفره إذا لم يدخل زمرتهم وينتمي إلي طريقة من طرقهم.

ثالثًا: إن من يتتبع تقريرات الصوفية وأقوالهم سيجد أن هناك اختلافًا كبيرا بين متقدمي الصوفية ومتأخريهم في موقفهم من مخالفيهم من الفرق الكلامية، ويتجلى هذا الاختلاف في عدة مواضع منها ما يلي:

أ- بينما ينتقد متقدمو الصوفية المبادئ التي بنى عليها الخوارج منهجهم الاعتقادي، وفي مقدمتها الخروج على الحاكم ومحاربته، وعدم البيعة له والسمع والطاعة- بينما هم كذلك- إلا إن متأخري الصوفية فرقوا في البيعة بين نوعين: الأولى بيعة عامة والتي هي لولي الأمر وبيعة خاصة ، والتي تكون للشيخ أو الولي – بزعمهم؛ ثم هم في المعتقد يقدمون البيعة للشيخ على كل بيعة غيرها. كما جعلوا الشيخ المبايع أو القطب في منزله ولي الأمر سواء بسواء.

ب- في الوقت الذي انتقد فيه متقدمو الصوفية مسلك الإرجاء والمرجئة ويتهمون أصحابه بالفسق والزندقة؛ نجد أن غلاة الصوفية من المتأخرين خاصة الذين يقولون بإسقاط التكاليف عن العبد، ويكفيه العمل أن يبلغ غاية المحبة وصفاء القلب من الغفلة؛ وهذا عين ما قالت به المرجئة مع اختلاف العبارة والصياغة.

ت- انتقد متقدمو الصوفية المعتزلة في باب الصفات وأنكروا عليهم عدم إثباتها، بينما جاء متأخرو الصوفية غلوا في باب الصفات غلوًّا وصل إلى حد إثبات رؤية رب العزة نهارا في الدنيا، بل زعموا أن الله يَحل ويتحدُّ بالمخلوقات – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-وقالوا بعقيدة الفناء التي تنافي صفات ربِّ العزة –سبحانه وتعالى-.

ث- بينما انتقد متقدمو الصوفية الشَيعة واتهموهم بالمبتدعة وكفروهم، وأظهروا ضلالهم، وألقوا الفوا الكتب في الرد عليهم؛ إلا أن متأخري الصوفية راحوا يتقاربون مع ا لروافض في عقائدهم ويقولون بقولهم. في مسائل كالعصمة والخلافة والنيابة للولي كما هي للإمام عند

الشيعة؛ وكقولهم بعقيدتي الحلول والتناسخ اللتين يقول بهما الشيعة، فيصرح متأخرو الصوفية أن روح الولي تقدر على أن تخرج من ذاته على أن تخرج من ذاته وتتصور بصورة غير صورته؛ وهذا عين ما قالت به الروافض في حق أئمتهم.

ج- بينما يصف متقدمو الصوفية من وقع في التشبيه والتجسيم والقائلين بأن الله في كل مكان بنفسه بأنهم كالنصارى الذين يزعمون أن الله ثالث ثلاثة؛ إلا أن كثيرا من متأخري الصوفية؛ خاصة الغلاة منهم تورطوا في التجسيم والتشبيه بقولهم بعقائد كالحلول والاتحاد والفناء ووحدة الوجود؛ إذ الاتحاد عندهم والحلول معناه أن روح الله تحل في المخلوقات من الإنس والحيوان والدواب- وحشاه — وهذا عين التجسيم.

رابعا: تبين من خلال البحث أن الصوفية الأوائل كانوا موافقين لمنهج السلف في أعمال القلوب كالتوكل على الله، والعمل بما أوجب الله من تكاليف بل وانتقدوا مخالفيهم من الصوفية ممن قالوا بالتواكل أو قالوا بإسقاط التكاليف، ولم يكتفوا بنقدهم بل رموهم بالزندقة والبدعة.

خامسا: اتخذ الصوفية من مخالفيهم من علماء أهل السنة والجماعة موقفا خاصًّا دون عامة المسلمين، وقد بنِي هذا الموقف بناء على أن أهل السنة والجماعة يرفضون معتقد الصوفية (القول بالظاهر والباطن)، ويأخذون علمهم عن الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح الذين يستنبطون الأحكام من النصوص، وهذا الأصل عند أهل السنة جعل الصوفية يتهمون علماء أهل السنة بالبدعة كما فعل الغماري في تبديعه لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «بدع التفاسير»، وتبديعه للشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «الرد المحكم»، وكذلك ما فعله أحمد دحلان في تبديعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووسمه لدعوة الشيخ محمد بالفتنة!! في كتاب عنون له بـ «فتنة الوهابية».

سادسا: كثير من الصوفية خاصة متأخريهم، يصل بهم الحال إلى تكفير المخالفين لهم من أهل السنة صراحة، والحكم عليهم بالردة، بل ووصفوا دينهم بأنه دين الوثنية، وقد تبين أن هذا الموقف للصوفية قد لازمهم مع أهل السنة قديما وحديثا. وقد كان من أشهر من وقع علية تكفير الصوفية في القرون الأولى للإسلام: الإمام حماد بن سلمة، وأبي داود السجستاني، والإمام عثمان الدارمي، وابن خزيمة، ولم يسلم منهم كذلك: عبد الله بن الإمام

أحمد بن حنبل. كما كان لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري نصيب واف من تكفير الصوفية، وقع معظمه على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وفي العصر الحديث لم يسلم أعلام السنة المعاصرون من تكفير الصوفية لهم، مثل: تكفيرهم للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد حامد الفقي، وغيرهم من أعلام السنة.

سابعا: تعدى تكفير الصوفية لمخالفيهم إلى تكفير بعضهم بعضا، وذلك لمن يخالفهم في الفرقة أو الطريقة، أو في بعض مسائل الاعتقاد ، وممن كفر الصوفية وهو منهم الهجويري عندما كفر القائلين بعقيدة الاتحاد ، وكذا فعل بهم أبو عبدالله ابن خفيف الشيرازي ، ومن المعاصرين أحمد الغماري وتكفيره أحمد التيجاني، وتلميذه أحمد سكيرج.

ثامنا: بمقارنة ما عليه موقف الصوفية من مخالفيهم، والوقوف على بعض صوره عند المتقدمين والمتأخرين منهم وتفاصيله، يتبين براءة أهل السنة مما وقع فيه متأخرو الصوفية خاصة من التكفير؛ إذ إن من أصول أهل السنة المهمة عندهم: أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج.

مراجع البحث.

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، المطبعة الميمنة.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي المتوفي ٥٠٥هـ ، دار المعرفة – بيروت.
- أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، ط مكتبة النهضة العربية . بالقاهرة، الطبعة الحادية عشرة، سنة ٢٠٠٠م.
- الأمثال من الكتاب والسنة، للحكيم الترمذي، تحقيق : د. السيد الجميلي، الناشر: دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت — دمشق، د. طن د. ت.
- الاعتقادات في دين الإمامية، للصدوق، مؤسسة الإمام الهادي، الطبعة الثالثة.
- بدع التفاسير، لأبي الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي، دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
- الأعلام ، خير الدين محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، تحقيق د/ وداد القاضي، ط دار صادر — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
- البهجة السنية في آداب الطريقة العلية، لمحمد عبد الله الخاني، مكتبة الحقيقة، اسطنبول — تركيا، ٢٠٠٢م.
- البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية، للبركلي، مطبعة الحلبي ١٣٤٨ هـ.

- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، لابن أبي جمرة، تحقيق: أبو مازن مصطفى أبو ليلة، المكتبة التوفيقية – مصر، ٢٠٠٨م.
- تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، للبيروني، دار الكتب للنشر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.
- التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، د إبراهيم هلال، نشر دار النهضة العربية، سنة ١٣٩٥هـ.
- التعرف لمذهب أهل التَّصوف، الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- تلبيس إبليس، لجمال الدين بن فرج الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت.
- جامع الأصول في الأولياء، لأحمد الكمشخانوي النقشبندي، دار الكتب العربية الكبرى – مصر، ١٣٣١هـ.
- تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل. طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.
- جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، د/محمد أحمد الجوير، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، ١٤٢٨ هـ.
- الجواب المفيد للسائل المستفيد، أحمد الغماري، تحقيق/ أبي الفضل بدر العمراني، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية والبهجة الخالدية قدس الله أسرارهم العلية، لمحمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي، اعتنى بطبعه حسين حلمي بن سعيد استانبولي، المكتبة الحقيقة – استانبول – تركيا، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، [مطبوع مع كتاب السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، لعبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي].
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
- حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ –٢٠٠١م.
- خطر تقسيم التوحيد على عقيدة المسلمين، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، سلسلة الفتوحات العزمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- الدرة المضية في الرد على ابن تيمية، لتقي الدين عبد الله السبكي، مطبعة الترقي – دمشق – سوريا. سنة ١٣٤٧هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م
- الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة، لأحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين، تعريب: محمد مراد بن عبد الله القزاني المنزلوي المكي، مكتبة النيل، القاهرة – مصر، (د. ط)، (د. ت).

- ذم التأويل، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.
- الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين، عبد الله بن الصديق الغماري، ط مطبعة العهد الجديد، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، ط دار المعارف، ط الثانية، د. ت.
- زهر المعاني، إدريس عماد الدين ، تحقيق مصطفى غالب.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، استنابول . تركيا، ٢٠١٠م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط – محَمَّد كامل قره، ط دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبدَ الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ط، د. ت.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي،حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت.د.ت
- الشريعة، للإمام الآجري، تحقيق د/ عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩ م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي — المملكة العربية السعودية.
- صحيح البخاري: تحقيق/ محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ط محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي — بيروت، د. ط، د. ت.
- الصفدية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية – مصر، الطبعة : الثانية، ١٤٠٦هـ.
- الصلة بين التصوف والتشيع، كامل مصطفى الشيبي، دار المعارف المصرية، الطبعة الثانية.
- الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق وضبط: أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- طبقات الصوفية ، محمد بن الحسين السلمي النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- طرائق الحقائق، لمعصوم شيرازي.
- العقائد الوثنية والشرائع السماوية، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية.
- العقل وفهم القرآن، للحارث المحاسبي، تحقيق د. حسين القوتلي، ط دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧١م
- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، عبد القادر الكيلاني، تحقيق: صلاح محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- عوارف المعارف ملحق بإحياء علوم الدين للغزَّالي، للسهروردي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ.
- غاية الأماني في الرد على النبهاني، أبو المعالي الألوسي، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم, تأليف الأستاذ عبد العزيز العصفور، ط دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبدالقادر الجيلاني، تحقيق: د أحمد السايح والمستشار توفيق علي وهبة، ط المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، د. ط، د. ت.
- الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني، مكتبة القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- فتنة الوهابية، أحمد زيني دحلان، مكتبة الحقيقة – إسطنبول ، تركيا، الطبعة الأولى، (د. ت).
- الفتوحات المكية، لابن عربي، تحقيق د يحيى عثمان، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢م
- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٧٣م ـ ١٩٧٤م
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة الهجراني الشافعي، جمعه: خالد زواري ، دار المنهاج ـ جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- كتاب المعراج، للقشيري، تحقيق: أ. د. قاسم السامرائي، ط دار الوراق ـ بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٦م.
- كتاب شرح أسماء الله الحسنى، لابن برجان، رسالة ماجستير بدار العلوم تحت رقم(٤٣٨/ ١٩٨٧)
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أشرف على إخراجه: د. صلاح با عثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
- كشف المحجوب، للهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبدالهادي قنديل، ط المجلس الأعلى للثقافة ـ مصر ، سنة ٢٠٠٧م
- لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ -١٩٧١م.
- لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة. د. ت.

- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الدار النموذجية – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.
- مسال الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية، حرب بن إسماعيل الكرماني، دار ابن الأثير للطباعة ، ٢٠١٠م.
- مشارق انوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، رجب البرلسي، مؤسسة الأعلى للمنشورات بيروت ـ لبنان.
- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- معجم مصطلحات الصوفية، دكتور عبدالمنعم الحفني، ط دار المسيرة ـ بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ .
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الدعوة، د. ط، د. ت.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- المقدمة، لابن خلدون، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي — قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ — ١٩٨٧م
- المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، الشيخ عبدالله الهرري، شركة دار المشاريع، الطبعة السابعة، سنة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، الحسن بن يوسف المطهر الحلي، تحقيق عبد الرحيم مبارك، مؤسسة عاشوراء للتحقيق والدراسات الإسلامية.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م
- المكاسب، للحارث المحاسبي، تحقيق سعد كريم الفقي، ط دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ط، د. ت.
- المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: نور سعيد، ط دار الفكر اللبناني — بيروت، الطبعة الأولى،سنة ١٩٩٢م.
- المكتوبات الربانية، لأحمد بن عبدالأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي، جمعها يار محمد الجديد البدخثي الطالقاني، علق عليها ووضع حواشيها مصطفى حسنين عبد الهادي، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، ط دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الثامنة. د. ت.
- الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ـ بيروت لبنان ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الشعراني، دار الكتب العلمية و دار صادر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م.